مجلة البيان ، السنة العاشرة ، العدد 97 ، رمضان 1416هـ فبراير 1996م

كلمة صغيرة

بدون عنوان

مبدأ جديد ، تحاول بعض الدول المغرمة شكلاً لا حقيقة بما يسمى
بالديمقراطية الإمساك به ، وهو في الحقيقة ما نسميه بـ (الديموخراطية) التي تعني
الحكم بالحديد والنار مع فتح المجال لأحزاب هزيلة لا رصيد لها من الواقع الشعبي
ولا من تبني قيم الأمة ومسلماتها الشرعية ؛ لذلك تدعو تلك الدول لانتخابات
صورية معروفة نتيجتها سلفاً ، ولو توقعت تلك الدول أن تلك الأحزاب و الجماعات
أو حتى المستقلين لهم وزن يسحبون به البساط من الحزب الحاكم المسيطر ،
لعرضتهم للضرب ، والسجن ، والاعتقال ، ولو أصدر قضاؤهم حكماً ببطلان تلك
الانتخابات ، فلن يعار اهتماماً ؛ بدعوى أن المعارضين مشاغبين .

والعجيب أن الذي يدافع عن ذلك التوجه ليس الصحف الرسمية فقط وإنما
أيضاً صحف ومجلات مشبوهة متغيرة الاتجاه تميل مع الريح أنى تميل ، تؤيد تلك
الانتخابات المزيفة ، وتعتبر المضارين منها حاقدين ومفلسين ، ومادروا أن العالم
كله يعرف حقيقة تلك الانتخابات التي ينتقدها أبناء البلاد أنفسهم وأعلام الفكر
والرأي فيها .

والعجيب أن يسقط رئيس دولة ويتحول النظام الحاكم إلى المرتبة الثالثة في
بعض الدول الأجنبية ، بينما في دولنا (الديموخراطية) فالنتيجة معروفة : أغلبية
مطلقة . هذه هي (ديموقراطيتهم) عفواً ديموخراطيتهم . وفي العدد مقالة مستفيضة
حول الموضوع .

افتتاحية العدد

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

انتكست الأمة الإسلامية في القرون الأخيرة ، وتصدّعت أركانها ، وتسلط
عليها أعداؤها ، واستبدل الله (سبحانه وتعالى) قوتها بضعف ، وعزتها بذلة ،
واجتماعها بفرقة وشتات ، أصبحت مستباحة الحمى ، مهيضة الجناح ، يعبث بها
العابثون ، ويفسد فيها المفسدون ، تنتهك حرماتها ، وتسرق مقدراتها ، ويُسْتوْلَى
على أرضها ، وتُشَتت شعوبها ، وهي لاتملك حولاً ولاطولاً ... ! !

في كل أرض لها مأساة ، وفي كل بلد لها محنة .. أبناؤها يشردون ، ودعاتها
يُقَتّلون ، نساؤها ترمّل ، وأطفالها تُيتم .. !

فما الذي جرى لها حتى وهنت ، ووصلت إلى هذا المآل .. ؟ !

مالذي جرى حتى تغيب هذا الغياب المذهل الذي أفقدها اتزانها ووجودها ....؟!

تدبر قول الله (سبحانه وتعالى) في محكم التنزيل : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى *
وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ
لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ
تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾
[طه : 123-127] .

إذاً هذا هو السر ... وهذا هو موضع الداء .. !

أعرضت الأمة عن شرع الله (تعالى) ، وهجرت كتاب الله (عز وجل) علماً
وعملاً ، وأدبرت عن سنة النبي المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ، واستبدلتها
بقوانين وضعية ، واجتهادات بشرية ملفقة من الشرق والغرب .. فكانت النتيجة
الملموسة التي تجنيها الأجيال : التخبط والشقاء الذي نرى آثاره تزداد يوماً بعد يوم..

كم ذاقت الأمة من البلاء ، وأصابها من الشدة ، بسبب إدبارها وإعراضها عن

شرع الله ووحيه المنزل ؟ ! وكم تقلبت في ألوان وألوان من الذل
والهوان .. ؟ !
تأمل حال الأمة الإسلامية من أدناها إلى أقصاها ، وسوف تجد حالةً من
القلق ،
وعدم الاتزان تسيطر على كثير من أجزائها ، وصدق المولى (جل وعلا) إذ
يقول :
 أَفَمَن يَمْشِي مُكِباً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِياً عَلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ
[الملك : 22] .
إن السعادة كل السعادة ، والطمأنينة كل الطمأنينة ، إنما هي في
تعظيم شرع
الله (تعالى) واتباعه والاهتداء بهديه . والشقاوة ، والتخبط كل التخبط ،
إنما هو في
الإعراض عن شرع الله (تعالى) والاستهانة به وهجره . قال الله (تعالى) :
 الَّذِينَ
آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ [الرعد :
28] . ولعل
شهر مضان المبارك يذكر الأمة الإسلامية بضرورة العودة الصادقة إلى
كتاب الله
العظيم ، فقد شرف الله (تعالى) هذا الشهر بنزول القرآن ، فقال :
شَهْرُ رَمَضَانَ
الَذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالْفُرْقَانِ [البقرة :
185] .
فالله (سبحانه وتعالى) أنزل كتابه العزيز ليهتدي به الناس و يعتصموا به
، فهو
مصدر القوة والعزة ، وأساس التمكين والرفعة ، فيه الهدى والنور ، من
آمن به حق
الإيمان ، وصدق به أخلص التصديق ، فقد هداه الله وآتاه من فضله ،
وأعانه على
كل خير ، قال الله (تعالى) : - الم[1] ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ
[البقرة : 1-2] . ومن هجره وأعرض عنه علماً وعملاً ، ولم يؤمن
بمتشابهه
ويعمل بمحكمه ، فقد أضله الله ، وختم على قلبه وبصره ، قال الله
(تعالى) وَاتْلُ
عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ
* وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إن
تَحْمِلْ عَلَيْهِ
يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ
لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ الَذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ
[الأعراف : 175-177] وصدق رسول الله إذ يقول : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين) [1] .
إن القرآن الكريم ليس آيات تهتز لها الرؤوس ، وتتمايل بها العمائم ، ويطرب
لها الدراويش في الموالد والمآتم والاحتفالات ، وليس آيات تُهَذُ هَذّ الشعر ، أو تنثر
نثر الدقل ، بل هو آيات بينات تتنزل على قلوب المؤمنين فتغمرها بالسكينة
والطمأنينة ، وتملؤها بالثقة والثبات . وتدبرُ آيات الله (عز وجل) ومعرفة مقاصدها
ومراميها ، والوقوف عند عظاتها وعبرها ، والتفكر في معانيها وفقهها وأسرارها :
نعمة عظيمة من أجل النعم التي يوفق إليها العبد المسلم . قال الله (تعالى) : -
 إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً
وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الأنفال : 2] ولهذا وصف أبو عبد الرحمن السلمي الصحابة
(رضي الله عنهم) بقوله : (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ، كعثمان بن عفان و
عبد الله بن مسعود وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي -صلى الله عليه
وسلم- عشر آيات ، لم يجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل ، قالوا :
فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً) [2] . وقال عبد الله بن عباس (رضي الله
عنهما) : (لأن أقرأ البقرة في ليلة فأَدّبّرها وأرتلها ، أحب إلي من أن أقرأ القرآن
أجمعَ هذرمة) [3] .
وإذا طغى الران على القلب ، وانتكس الإنسان بعبثه ولهوه حجبه الله (تعالى)
عن نور القرآن ، وحال بينه وبين الهدى والحق ، قال الله (تعالى) : أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ
القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا [محمد : 24] وقال الله (تعالى) : وإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ
جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً (45) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ
أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ

نُفُوراً [الإسراء : 45 ، 46] وتوعد الله (تعالى) المعرضين عن كتابه العزيز
بقوله (عز وجل) : أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ
لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ [الزمر : 22] .

وأما أهل الإيمان فقد وصفهم الله بقوله (تعالى) : وبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ
نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً (105) وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى
مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (106) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إنَّ الَذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِن قَبْلِهِ
إذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا
لَمَفْعُولاً (108) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً [الإسراء : 105-109]
.

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين يعظمونه حق التعظيم ، فيؤمنون بمتشابهه ،
ويعملون بمحكمه ويحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويحكمونه في جميع
أمورهم .. وصلى الله على محمد وآله وسلم .

---

(1) أخرجه : مسلم ، في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ح 1 ، ص 559 ، ح 817 .
(2) سير أعلام النبلاء : 4/269 .
(3) فضائل القرآن ، ابن كثير : ص 75 .

دراسات شرعية

المنهج العلمي للاستدلال

(منهج المبتدعة في التعامل مع النصوص الشرعية)

بقلم : أحمد بن عبد الرحمن الصويان

تحدث الكاتب في الحلقة الأولى عن منهج الاستدلال عند أهل السنة ، ثم
تحدث في الحلقة الثانية عن منهج المبتدعة ، وذكر أنه يعتمد على ثلاثة أصول ؛
الأول : ردّ النصوص الثابتة والاعتراض عليها ، والثاني : العبث في الأصول
الشرعية للاستدلال وتشويهها ، وذكر تحت هذا الأصل سبع مسائل ، وفي هذه
الحلقة الأخيرة : يتمم هذه المسائل ، ويذكر الأصل الثالث في منهج المبتدعة مبيناً
فساده .

- البيان -

ثامناً : رد حديث الآحاد :

لعل أول من رد حديث الآحاد جملة في العقائد والأحكام هم : الخوارج ، ثم
تبعهم المعتزلة ، بحجة أنها أحاديث ظنية الثبوت لا تفيد العلم اليقيني ! .

ثم تبنى هذا المذهب جمع من المتكلمين الذين اعتمدوا حديث الآحاد في
الأحكام وردوها في العقائد ، وانتشر هذا المذهب انتشاراً واسعاً عند المتأخرين حتى
ظنه من لاتحقيق عنده من المعاصرين : أنه مذهب الأئمة الأربعة وجمهور
العلماء [1] .

وبسبب هذا رُدّت عقائد كثيرة جداً ثبتت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في
أحاديث صحيحة .

واستغل هذا المذهب قوم من أهل الأهواء والزنادقة في رد كثير من دلائل
النصوص الشرعية المحكمة ؛ بحجة أنها لم ترد وروداً قطعياً ، بل إن بعضهم رد
الأحاديث المتواترة القطعية بحجة أن تواترها لم يثبت عنده ، حتى أصبح ذلك سلماً
للزنادقة والعابثين .

وقد رد هذه الفرية في وقت مبكر جمع من أهل العلم وأئمة السنة ، وبينوا

مخالفتها للدلالة الشرعية والعقلية وإجماع الأمة . ولعل من أوائل من بسط الرد على
المبتدعة في هذا الباب : الإمام الشافعي في كتابه الجليل : (الرسالة) ، ثم تبعه جمع
من الأئمة على رأسهم الإمام البخاري حيث أفرد كتاباً مستقلاً في صحيحه سماه :
(أخبار الآحاد) ، ذكر فيه عدداً من الأحاديث التي تدل على وجوب العمل بحديث
الآحاد في العقائد والأحكام ، وجعله بين يدي كتاب : (الاعتصام بالكتاب والسنة) ،
ثم تتابع العلماء في تفصيل هذه المسألة ، ويلخص ابن عبدالبر القرطبي مذهب
الأئمة أهل الفقه والأثر بقوله : (وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ،
ويعادي ويوالي عليها ، ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده ، وعلى ذلك جماعة أهل
السنة) [2] .

تاسعاً : القدح في الصحابة (رضي الله عنهم) :

تقدم في الحلقة الأولى بيان عظيم منزلة الصحابة (رضي الله عنهم) ، وأن فهم
دلائل الكتاب والسنة إنما يؤخذ عنهم ، فهم أعلم الناس بمراد الله (تعالى) ، ومراد
رسوله -صلى الله عليه وسلم- وكل علم من علوم الشرع يؤخذ من غير طريقهم ،
أو بخلاف منهجهم فهو ضلال وانحراف ، وصدق عمران بن حصين (رضي الله
عنه) إذ يقول : (ياقوم : خذوا عنا ، فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلّنّ) [3] .

وأكثر المبتدعة انحرفوا في شأن الصحابة انحرافاً واضحاً ، ولم يعتمدوا
منهجهم ولم يسيروا سيرهم ، ومنهم من قدح فيهم وكذبهم وافترى عليهم ، ومنهم من
كفرهم واتهمهم بالنفاق والعياذ بالله ! !

وأول من وقع في هذا الانحراف هم الخوارج والرافضة ، ثم تبعهم المعتزلة
والجهمية ، وسائر المبتدعة ؛ ولهذا قال أبو حاتم الرازي : (علامة أهـل البدع :
الوقيعة في أهل الأثر) [4] .

ومن أمثلة جرأة المبتدعة ووقوعهم في الصحابة :

قال عمرو بن عبيد : (لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان ، على
شراك نعل ما أجزتُ شهادتهم ! !) [5] .

ولما قال له يحيى : كيف حديث الحسن عن سمرة في السكتتين ؟ فقال :
(ماتصنع بسمرة ؟ قبح الله سمرة ! !) [6].
وتتبع مخازي المبتدعة في هذا الباب أمر يطول ذكره ، وأشدهم غلواً فيه
الرافضة ، قال ابن تيمية : (ثم إن الرافضة أو أكثرهم لفرط جهلهم وضلالهم
يقولون : إنهم يعني : أبا بكر وعمر ومن اتبعهم كانوا كفاراً مرتدين ، وإن اليهود
والنصارى خير منهم ؛ لأن الكافر الأصلي خير من المرتد ! وقد رأيت هذا في عدة
من كتبهم ، وهذا القول من أعظم الأقوال افتراءً على أولياء الله المتقين ، وحزب
الله المفلحين ، وجند الله الغالبين) [7] .
وقد بين السلف أن حقيقة الطعن في الصحابة هي : الطعن في الدين ، ولهذا
قال أبو زرعة : (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه
زنديق ؛ وذلك أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما
أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ، وإنما يريدون أن يجرحوا
شهودنا ، ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة) [8] .
وقال ابن تيمية : (أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين تصديقاً وعلماً ، وعملاً
وتبليغاً ، فالطعن فيهم طعن في الدين ، موجب للإعراض عما بعث الله به النبيين ،
وهذا كان مقصود أول من أظهر بدعة التشيع ، فإنما كان قصده : الصد عن سبيل
الله ، وإبطال ماجاءت به الرسل عن الله) [9] .
وهجر منهج الصحابة رضي الله عنهم وعدم الاهتداء بهديهم أدى إلى تخبط
المبتدعة تخبطاً شديداً ، وكلما ابتعد المرء عن منهج الصحابة علماً وعملاً ازداد
انحرافه وجهله ، وكثر ضلاله وبعده عن منهاج النبوة . ألم تر إلى الخوارج حينما
ضلوا وحاربوا المسلمين ، ذهب إليهم عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)
وناظرهم ، ورد على شبهاتهم ، رجع معه أكثر القوم وعصمهم الله من الفتنة ، ومن
أعرض عنه ، ولم يسمع مشورته ضل وانتكس ، والعياذ بالله .. ؟ ! فالخير كل
الخير إنما هو في تتبع آثارهم والاقتداء بسننهم ، فهم أعلم منا بكل صلاح .

عاشراً : اتباع المتشابهات :

وصف الله تعالى المبتدعة أهل الزيغ في قوله : - ﴿ هُوَ الَذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ
الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ
فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ... ﴾ [آل عمران : 7]
.

روت عائشة (رضي الله عنها) : أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تلا
هذه الآية ، ثم قال : (فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله ،
فاحذروهم) [10] .

وقال الطبري : (هذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من
أهل الشرك ، فإنه معنيّ بها كل مبتدع في دين الله بدعة ، فمال قلبه إليها ، تأويلاً
منه لبعض متشابه آي القرآن ، ثم حاج به وجادل به أهل الحق ، وعدل عن
الواضح من أدلة آيه المحكمات ، إرادة منه بذلك : اللبس على أهل الحق من
المؤمنين ، وطلباً لعلم تأويل ماتشابه عليه من ذلك كائناً من كان ، وأي أصناف
البدعة كان ، من أهل النصرانية كان ، أو اليهودية ، أو المجوسية ، أو كان سبئياً ،
أو حرورياً ، أو قدرياً ، أو جهمياً) [11] .

وقال في تفسير المتشابه : (ماتشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه
التأويلات ، ليحققوا بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ماهم عليه من الضلالة
والزيغ عن محجة الحق ، تلبيساً منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل
ذلك ، وتصاريف معانيه) [12] .

وقال السعدي : (فالذين في قلوبهم مرض وزيغ ، وانحراف لسوء قصدهم :
يتبعون المتشابه منه ؛ فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة ، وآرائهم الزائفة طلباً
للفتنة ، وتحريفاً لكتابه ، وتأويلاً له على مشاربهم ومذاهبهم ليَضلوا ويُضلوا . وأما
أهل العلم الراسخون فيه الذين وصل العلم واليقين إلى أفئدتهم ؛ فأثمر لهم العمل
والمعارف ، فيعلمون أن القرآن كله من عند الله ، وأنه كله حق محكمه ومتشابهه ،

وأن الحق لايتناقض ولايختلف ، فلعلمهم أن المحكمات معناها في غاية الصراحة
والبيان يردون إليها المشتبه الذي تحصل فيه الحيرة لناقص العلم وناقص المعرفة ،
فيردون المتشابه إلى المحكم فيعود كله محكماً) [13] .
ولهذا كان المبتدعة يضربون النصوص بعضها ببعض ، وزعموا أنها قد
تتعارض وتتخالف ، وذكروا أمثلة كثيرة في هذا الباب . ولكن علماء السنة الأثبات
ردوا باطلهم وبينوا جهلهم وتناقضهم [14]؛ وقد قال رسول الله : (إن هذا القرآن لم
ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وماتشابه فآمنوا به) [15] .

حادي عشر : جهلهم باللغة العربية :

تقدم في الحلقة الأولى بيان أهمية اللغة العربية ، وأنها الأداة التي تفهم بها
دلائل الكتاب والسنة ، وقد قصر المبتدعة في ذلك وأهملوا لغة القرآن ، وغلبت
عليهم العجمة ، فتأولوا القرآن على غير تأويله .
قال الشاطبي في بيان مأخذ المبتدعة في الاستدلال : (ومنها : تخرصهم على
الكلام في القرآن والسنة العربيين ، مع العزوف عن علم العربية الذي يفهم به عن
الله ورسوله ، فيفتاتون على الشريعة بما فهموا ، ويدينون به ويخالفون الراسخين
في العلم ، وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم ، واعتقادهم أنهم من
أهل الاجتهاد والاستنباط ، وليسوا كذلك) .
ثم ذكر بعض الأمثلة التي تدل على فرط جهلهم بالعربية ، فقال : (كما حكي
عن بعضهم أنه سئل عن قول الله (تعالى) : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾
[آل عمران : 117] ، فقال : هذا الصرصر ، يعني صرار الليل . وعن
النظام أنه كان يقول : إذا آلى المرء بغير اسم الله لم يكن مولياً ، قال :
لأن الإيلاء مشتق من اسم الله . وقال بعضهم في قوله (تعالى) : -
﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾
[طه : 121] لكثرة أكله من الشجرة ، يذهبون إلى قول العرب غوى
الفصيل : إذا أكثر من اللبن حتى بشم ، ولايقال فيه غوى ، وإنما غوى
من الغي ...) [16] .
والعجيب أن من كان عالماً باللغة من المبتدعة فإنه قد يحرف قواعد اللغة
وماتعارف عليه العرب ، من أجل أن يوافق مذهبه الباطل ، وإليك هذين المثالين :

المثال الأول : إنكار رؤية الله تعالى في الجنة :

في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [الأعراف : 143] ، زعم المعتزلة أن (لن) تفيد نفي المستقبل (بمعنى المؤبد) [17] ، يعني : لن تراني في الدنيا ولن تراني في الآخرة ! وهذا مخالف لقواعد اللغة ، فلن لاتفيد النفي المؤبد ، ودليل ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ [يوسف : 80] . وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إِنسِياً ﴾ [مريم : 26] . ولهذا قال ابن مالك :

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا [18] .

المثال الثاني : تأويل الاستواء بالاستيلاء :

في تفسير قول الله (تعالى) : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : 5] زعم بعض المبتدعة : أن الاستواء بمعنى الاستيلاء ، وأولوا النصوص المتواترة في إثبات علو الله تعالى على خلقه ، وردوا إجماع الأمة ، قال القاضي عبد الجبار : (الاستواء ههنا بمعنى الاستيلاء والقهر والغلبة ، وذلك مشهور في اللغة ، قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق) [19] .

وقد رد أهل السنة هذا الافتراء وبينوا بطلانه ومخالفته لقواعد الشرع وقواعد اللغة ، وهو من قول شاعر ليس من العصور المحتج بها في اللغة ، فضلاً عن كونه نصرانياً [20] .

الأصل الثالث : إحداث أصول بدعية جديدة للاستدلال والتلقي :

بعد أن تجرأ المبتدعة في رد النصوص ، وعبثوا في الأصول الشرعية للاستدلال : وضعوا أصولاً بدعية جديدة للاستدلال ، إما بديلة عن الأصول الشرعية ، وإما مزاحمة لها ، ومن هذه الأصول :

أولاً : تقليد الأئمة والشيوخ :

تعظيم الآباء والشيوخ آفة قديمة اعترض بها المشركون على النبي - صلى الله عليه وسلم- وزعموا أن أشياخهم وعظماءهم أولى بالوحي من النبي - صلى الله

عليه وسلم- قال الله (تعالى) : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ القَرْيَتَيْنِ
عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف : 31] . ولما عرض عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- الحق
بالحجة القاطعة والبرهان الساطع ، اعترضوا عليه بآبائهم : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن
قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إنا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإنَّا عَلَى آثَارِهِم
مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : 23] . فكان تعظيمهم لآبائهم مانعاً لهم من معرفة الحق ووزن
البراهين بالموازين المستقيمة .

وقد اقتبس المبتدعة من المشركين هذه الصفة في تعظيم الشيوخ ، وغلا فيهم
بعضهم غلواً شديداً أخرجهم عن جادة الصراط المستقيم ، ومن أبرز من انحرف في
هذا الباب :

أ- الرافضة الإمامية :

الذين زعموا لأئمتهم العصمة المطلقة كعصمة النبي ، ولهذا فهم : (لايعتمدون
على القرآن ولاعلى الحديث ولاعلى الإجماع إلا لكون المعصوم منهم ، ولاعلى
القياس وإن كان واضحاً جلياً) [21] . و (صاروا لذلك لاينظرون في دليل
ولاتعليل) [22] .

ب - الصوفية الباطنية :

الذين عظموا الأولياء والأقطاب ، وسلموا لهم بكل مايقولون ، بل زعم بعضهم
أن الأولياء أفضل من الرسل ، وقال قائلهم :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي ! !

ج - الفلاسفة الباطنية :

الذين عظموا فلاسفة اليونان كأرسطو وأمثاله ، وقلدوهم في منطقهم ،
وعارضوا الكتاب والسنة بأقوالهم ، والعجيب أنهم ينهون العامة عن تقليد الرسل ،
ومع ذلك فهم يقلدون رؤوسهم [23] .

د - جهلة مقلدة الأئمة الأربعة :

الذين عظموا الأئمة المتبوعين ، وجعلوا أقوالهم هي المعيار في القبول
والرد ، وقدموها على الكتاب والسنة ، حتى قال الكرخي : (كل آية تخالف ماعليه
أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة ، وكل حديث كذلك فمؤول أو منسوخ) [24] .

وقد نهى السلف وأئمة السنة عن التقليد الأعمى مطلقاً ، وذموا المقلدة الذين
يهجرون النصوص الشرعية ، ويعارضونها بأقوال أئمتهم ، ولهذا قال الشافعي :
(أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم
يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس) [25] . وشدد ابن تيمية على هذا بقوله :
(معارضة أقوال الأنبياء بآراء الرجال ، وتقديم ذلك عليها هو من فعل المكذبين
للرسل ، بل هو جماع كل كفر) [26] .

ثانياً : الكشف والإلهام :

زعم غلاة المتصوفة أن الأئمة يكشف لهم من معاني القرآن والسنة أمور
لايعلمها علماء الشريعة الذين سموهم بعلماء الظاهر ! . وقد أصّل هذه العقيدة أبو
حامد الغزالي في عدد من كتبه ، وأفرط فيها ابن عربي وغيره من أئمة التصوف .

قال الغزالي : (فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر ، وفاض على صدورهم
النور ، لابالتعليم والدراسة والكتابة للكتب ، بل بالزهد في الدنيا والتبرّي من
علائقها ، وتفريغ القلب من شواغلها ...) ثم يصف طريق ذلك فيقول : (أولاً :
بانقطاع علائق الدنيا بالكلية ، وتفريغ القلب منها ... ثم يخلو بنفسه في زاوية مع
الاقتصار على الفرائض والرواتب ، ويجلس فارغ القلب ، مجموع الهمّ ، ولايفرق
فكره بقراءة القرآن ، ولابالتأمل في تفسير ، ولايكتب حديثاً ولاغيره (! !) ، بل
يجتهد ألا يخطر بباله شيء سوى الله (تعالى) ، فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة ،
قائلاً بلسانه : الله .. الله .. على الدوام ، مع حضور القلب ، حتى ينتهي إلى حالة
يترك اللسان ، ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ... وليس له اختيار في
استجلاب رحمة الله (تعالى) ، بل هو بما فعله صار متعرضاً لنفحات رحمة الله ،
فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة ، كما فتحها على الأنبياء والأولياء
بهذه الطريقة ..) [27] .

ويقول في موضع آخر : (الخلوة لاتكون إلا في بيت مظلم ، فإن لم يكن له مكان مظلم فليق رأسه بجيبه ، أو يتدثر بكساء أو إزار ، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة النبوية !) [28] .

وازداد غلو بعض أهل الرياضة والتصوف حتى زعموا أن الله يخاطبهم كما خاطب موسى بن عمران (عليه الصلاة والسلام) وهؤلاء ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : زعموا أنهم يخاطبون بأعظم مما خوطب به موسى ، فهم يدعون أنهم أعلى من الأنبياء !

الصنف الثاني : زعموا أن الله يكلمهم مثل كلام موسى ، ويقولون : إن النبوة مكتسبة !

الصنف الثالث : زعموا أن صاحب الرياضة قد يسمع الخطاب الذي سمعه موسى ، ولكن موسى مقصود بالتكليم دون هذا ... [29] .

وقد رد أئمة الإسلام هذا الضلال ، وبينوا بطلانه وزيغه ، ومن ذلك : قول ابن تيمية رداً على الغزالي الذي زعم أن ميزان قبول السمعيات موافقتها للكشف والمشاهدة : (هذا الكلام مضمونه : أنه لايستفاد من خبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- شيء من الأمور العلمية ، بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة ، وهذان أصلان للإلحاد ، فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة ، وإلا دخل في الضلالات ..) [30] .

ومنتهى هؤلاء القوم اتباع الظن وما تهوى الأنفس ، بغير علم ولاهدى ولا بصيرة ، ولهذا عبثت فيهم الخرافة ، وسيطر عليهم الدجالون .

ثالثاً : تعظيم العقل :

للعقل منزلة جليلة في دين الإسلام ، فقد جعله الله (تعالى) أداة للفهم ، ومناطاً للتكليف ، وأمر بحفظه ورعايته ، وحرم كل ما يفسده أو يؤثر عليه ، وحث الناس على التدبر والتفكر والتعقل في آيات كثيرة جداً ، كما ذم الله (تعالى) المشركين الذين عطلوا حواسهم وعقولهم بقوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾

[البقرة : 171] . ولهذا دل القرآن على الأدلة العقلية وبينها ونبه عليها ، وكان الخطاب القرآني خطاباً برهانياً ، وبين مايدل على صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- في كل مايقوله ؛ ليظهر الحق بأدلته السمعية والعقلية ، والرسول يخبر بالحق ، ويقيم عليه الأدلة العقلية البرهانية الموصلة إلى معرفته [31] .

ومع هذه المنزلة الجليلة للعقل ، إلا أن طريق النجاة من العذاب الأليم :
(الرواية والنقل ، إذ لايكفي من ذلك مجرد العقل ، بل كما أن نور العين لايرى إلا
مع ظهور نور قدامه ، فكذلك نور العقل لايهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس
الرسالة) [32] . وقيام دين الله في الأرض إنما هو بواسطة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، (ولاتحسبن أن العقول لو تركت وعلومها التي تستفيدها بمجرد النظر عرفت الله معرفة مفصلة بصفاته وأسمائه على وجه اليقين) [33] . (ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش
والمعاد) [34] .

وقد انحرف عن هذا السبيل الوسط فريقان من الناس :

الفريق الأول : المتصوفة الجهال ، الذين ألغوا عقولهم ، وقدسوا المجانين
والمجاذيب ، و (كلما كان الشيخ أحمق وأجهل ، كان بالله أعرف ، وعندهم
أعظم) [35] . وكانوا يقولون : (من أراد التحقيق : فليترك العقل والشرع !) [36] .

الفريق الثاني : المتكلمون والجهمية ومن ذهب مذهبهم ، الذين قدسوا العقل
وجعلوه حاكماً على الشرع ومقدماً عليه ، و (يجعلون العقل وحده أصل علمهم ،
ويفردونه ، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له) [37] .

وهؤلاء المعظمون للعقل ينقسمون قسمين :

القسم الأول : المخالفون للنصوص النبوية ، الذين يقولون : إن الأنبياء لم
يعرفوا الحق الذي عرفناه ، أو يقولون عرفوه ، ولم يبينوه للخلق كما بيناه ، بل
تكلموا بما يخالفه من غير بيان منهم ! ! .

القسم الثاني : المدعون للسنة والشريعة الذين يقولون : إن الأنبياء والسلف
الذين اتبعوا الأنبياء ، لم يعرفوا معاني هذه النصوص التي قالوها والتي بلغوها عن
الأنبياء ، أو أن الأنبياء عرفوا معانيها ولم يبينوا مرادهم للناس . وقد يقولون : نحن

عرفنا الحق بعقولنا ، ثم اجتهدنا في حمل كلام الأنبياء على مايوافق مدلول
العقل .. ! [38] .
ولهذا زعم هؤلاء القوم أن العقل قد يخالف النقل ، وصالوا على النصوص
صولة المحاربين ، وردوا الأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ،
ويدعون أنها مخالفة للمعقول ، كالمنكرين لعذاب القبر ، والصراط ، والميزان ،
ورؤية الله في الآخرة ، وحديث الذباب وقتله ، وأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر
دواء ، ومالأشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول [39] .
واقتدى بهم : أفراخهم من المعاصرين الذين يسمون أنفسهم : بالعقلانيين ،
وبزّوهم في الجرأة على النصوص بالتحريف والاعتراض والرد ، فكما أن أؤلئك
انبهروا بالفكر اليوناني وراحوا يقلدونه ، فقد انبهر هؤلاء بالفكر الغربي ، وضعفوا
أمامه ، وراحوا يلهثون في ركابه ! !
وكم جرّ هذا المذهب من بلاء وشر على الأمة ، حيث أصبح طريقاً للعبث في
النصوص ، وسُلّماً للزنادقة والعلمانيين ؟ !
وخلاصة اعتقاد أهل السنة في هذا الباب أن : (الأحوال الحاصلة مع عدم
العقل ناقصة ، والأقوال المخالفة للعقل باطلة ، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن
دركه ، لم تأت بما يعلم العقل امتناعه) [40] . كما أن : (الأدلة العقلية الصريحة
توافق ما جاءت به الرسل ، وأن صريح المعقول لايناقض صحيح المنقول ، وإنما
يقع التناقض بين ما يُدخل في السمع وليس منه ، ومايدخل في العقل وليس
منه) [41] .
وختاماً : أسأل الله (عز وجل) أن يثبتنا على السنة ، وأن يعيذنا من نزغات
الفتن .

---

(1) انظر مثلاً : الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت (ص74 76) ، وأصول الفقه لبدران أبو العينين (ص 87) .
(2) التمهيد : ج 1 ، ص 8 .
(3) الكفاية في علم الرواية : ص 15 .
(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ج1 ، ص 179 .
(5) الاعتصام : ج 1 ، ص 119 .

(6) المرجع السابق .
(7) منهاج السنة النبوية : ج 7 ، ص 475 .
(8) الكفاية في علم الرواية : ص 97 .
(9) منهاج السنة النبوية : ج 1 ، ص 18 .
(10) أخرجه : البخاري في التفسير : ج 8 ، ص 209 ، ح (4547) ومسلم في العلم : ج 4 ، ص 2053 ، ح (2665) .
(11) تفسير الطبري : ج 3 ، ص 181 .
(12) المرجع السابق : ج 3 ، ص 176 .
(13) تفسير السعدي : ج 1 ، ص 357 .
(14) انظر : كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ص 59 ومابعدها .
(15) عزاه ابن كثير لابن مردويه ، وقال الوادعي : حسن تفسير القرآن العظيم : ج 2 ، ص 14 .
(16) الاعتصام : ج 1 ، ص 237 .
(17) انظر : الكشاف للزمخشري : ج 2 ، ص 133 .
(18) انظر : شرح الطحاوية : ص 207 208 .
(19) شرح الأصول الخمسة : ص 226 .
(20) انظر مثلاً : مختصر الصواعق المرسلة : ص315 328 .
(21) منهاج السنة النبوية : ج 1 ، ص 69 .
(22) المرجع السابق : ج 6 ، ص 381 .
(23) الفتاوى : ج 5 ، ص 289 .
(24) الرسالة في أصول الحنفية : ص 169 170 .
(25) إعلام الموقعين : ج 2 ، ص 201 .
(26) درء التعارض : ج 5 ، ص 204 .
(27) إحياء علوم الدين : ج 3 ، ص 19 20 .
(28) المرجع السابق : ج 2 ، ص 66 .
(29) انظر : الفتاوى : ج 11 ، ص 606 607 ، وج 2 ، ص 399 .
(30) درء التعارض : ج 5 ، ص 348 .
(31) انظر : درء التعارض : ج 1 ، ص 199 وج 3 ، ص 305 والفتاوى : ج 2 ، ص 46 47 وج 16 ، ص 469 .
(32) مجموع الفتاوى : ج1 ، ص 6 .
(33) الصارم المسلول : ص 249 .
(34) الفتاوى : ج 19 ، ص 100 .
(35) المرجع السابق : ج 2 ، ص 174 .
(36) المرجع السابق : ج 11 ، ص 243 .
(37) المرجع السابق : ج 3 ، ص 338 339 .
(38) انظر : درء التعارض : ج 1 ، ص 19 .
(39) انظر : الاعتصام : ج 1 ، ص 231 232 .
(40) الفتاوى : ج 3 ، ص 338 339 .
(41) درء التعارض : ج 2 ، ص 364 .

دراسات شرعية

مصادر التفسير

(2)

التفسير بالسنة

-الحلقة الثانية-

بقلم : مساعد بن سليمان الطيار

في الحلقة الماضية تحدث الكاتب عن التفسير بالسنة من حيث : تحرير
مصطلح التفسير بالسنة ، وتحرير مصطلح التفسير النبوي ، وأنواع كل منهما ،
وأمثلة من كل نوع ، ويتابع في هذه الحلقة استكمال عناصر هذا الموضوع .

- البيان -

ثلاث مسائل متممة للحديث عن التفسير بالسنة :

المسألة الأولى : التفسير بالسنة عند المحدّثين :

يورد المحدثون التفسير النبوي والتفسير بالسنة في كتبهم تحت كتاب يعنونونه
بـ (كتاب التفسير) .

وممن كتب في هذا الباب : الإمام البخاري في صحيحه ، والنسائي في سننه
الكبرى ، والترمذي في سننه ، والحاكم في مستدركه [1] .

وما أريد إبرازه هنا أمران :

الأول : أن استعمالهم للتفسير بالسنة كثير .

الثاني : أن ربطهم معنى الحديث بالآية وذكر ذلك تحت آية من الآيات التي
يعنونون بها الأبواب هو اجتهاد خاص بهم ، مما يعني أنهم شاركوا في هذا الجانب
من التفسير .

وقد كان هؤلاء المحدّثون يحرصون على إيراد مايصلح من كلام النبي -صلى
الله عليه وسلم- تفسيراً لآية ، ولو من طرف خفي .

بل كانوا يذهبون إلى أبعد من ذلك ، حيث يوردون مايتعلق بالآية من
الأحاديث لأي سبب كان ؛ كذكر بعض لفظ الآية في الحديث أو ذكر قراءة الرسول
-صلى الله عليه وسلم- لتلك الآية في زمن مخصوص ، أو غير ذلك من الأسباب ،
وهذا يدل على مدى حرصهم واهتمامهم بربط الآية بما يتعلق بها من الحديث
النبوي ، وإن لم يكن جائياً في مساق التفسير ، وقد أشار إلى هذا بعض شراح صحيح

الإمام البخاري ، ومنهم :
1- أبو مسعود الكنهكوهي (ت : 1323) ، قال : ثم الذي ينبغي التنبه
له :
أن التفسير عند هؤلاء الكرام أعمّ من أن يكون شرح كلمة ، أو بيان مايُقرأ
بعد تمام
سورة ، ولا أقّل من أن يكون لفظ القرآن وارداً في الحديث .
وكون الأمور المتقدمة من التفسير ظاهر [2] ، وإنما الخفاء في هذا
الأخير
والنكتة فيه : أن لفظ الحديث يفسر لفظ القرآن بحيث يُعلم منه أن
المراد في
الموضعين واحد ، وكثيرا مايُكشف معنى اللفظ بوقوعه في قصة وكلام
لايتضح
مراده لو وقع هذا اللفظ في غير تلك القصة ؛ فإذا لاحظ الرجل الآية
والرواية معا
كانت له مُكنة على تحصيل المعنى [3] .
2- وقال (صاحب الفيض) : (ثم اعلم أن تفسير المصنف (أي :
البخاري)
ليس على شاكلة تفسير المتأخرين في كشف المغلقات ، وتقرير المسائل
، بل قصد
فيه إخراج حديث مناسب متعلق به ولو بوجه) [4] .
وبهذا يتلخص أن المحدّثين يوردون من كلام الرسول -صلى الله عليه
وسلم-
ما يصلح أن يكون تفسيرا ، كما يوردون ما يتعلق بالآية من كلامه أوفعله
لأدنى
سبب .

ومن أمثلة الأول (ما يصلح من كلامه تفسيرا) :

1- ترجم البخاري في باب : ذكر إدريس (عليه السلام) بقوله
(تعالى) :
 ورفعناه مكانًا عليا [مريم : 57] ثم روى تحت هذا الباب حديث المعراج
، وفيه
أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وجد في السموات إدريس وموسى
وعيسى ....)
2- وذكر النسائي تحت قوله (تعالى) : فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى
يَخُوضُوا فِي
حَدِيثٍ غَيْرِهِ [النساء : 140] حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ،
عن
النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (ويلٌ للذي يحدث القوم فيكذب ،
فيضحك به القوم ، ويلٌ له ، ويلٌ له) [6] .
3- وذكر الترمذي في تفسير قوله (تعالى) : فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ
لَهُم مِّن
قُرَّةِ أَعْيُنٍ [السجدة : 17] حديث المغيرة بن شعبة ، يرفعه إلى رسول
الله -صلى

الله عليه وسلم- ، يقول : (إن موسى عليه السلام سأل ربه ، فقال : أي رب ، أي
أهل الجنة أدنى منزلة ؟ قال : رجل يأتي بعدما يدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له :
أدخل الجنة .
فيقول : كيف أدخل الجنة وقد نزلوا منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، قال : فيقال
له : أترضى أن يكون لك ما كان لملك من ملوك الدنيا ؟
فيقول : نعم ، أي ربّ ، قد رضيت . فيقال له : فإن لك هذا ، ومثله ، فيقول
رضيت أَيْ ربّ .
فيقال له : فإن لك هذا ، وعشرة أمثاله . فيقول : رضيت أي ربّ ،
فيقال له : فإن لك مع هذا ما اشتهت نفسك ، ولذت عينك) [7] .

ومن أمثلة الثاني (مايكون لأدنى سبب) :

1- ماذكره البخاري تحت باب وهو ألد الخصام [البقرة : 204]، من
حديث عائشة (رضي الله عنها) ، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال :
(أبغضُ الرجال إلى الله الألد الخَصِم) [8] .
2- وتحت تفسير قوله (تعالى) : قالوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ [المائدة :
111] أورد النسائي أثر ابن عباس : أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان
يقرأفي ركعتي الفجر : في الأولى منهما إلى قوله : قولوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ
إِلَيْنَا [البقرة : 136] إلى آخر الآية ، وفي الأخرى قالوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا
مُسْلِمُونَ [المائدة : 111] [9] .

المسألة الثانية : نظرة وصفية لأمثلة التفسير النبوي :

من خلال إلقاء نظرة سريعة على الوارد من التفسير النبوي يمكن فهرسة
الأمثلة تحت عناوين كالتالي :

1- بيان معنى لفظة :

إن المتأمل في ما نقله الصحابة عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يلاحظ
أنهم لم يوردوا عنه تفسيراً للألفاظ ، ويظهر والله أعلم أن ذلك بسبب معرفتهم
المعاني اللغوية ؛ لأنهم عرب يفهمون معاني الخطاب ، ولو ورد لهم استشكال في
فهم ألفاظه أو مدلولاته اللغوية لسألوا عنها ، ومما يدل على ذلك حديث ابن مسعود

في نزول آية : ﴿ الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : 82] فهم فهموا
الظلم بمعناه العام في لغتهم (أي أنهم استشكلوا مدلول لفظة : الظلم) فشق عليهم هذا
الخطاب حتى بينه لهم رسول الله .
إذن .. لم يكن الصحابة بحاجة إلى بيان المفردات اللغوية ، ولذا لم يرد في
التفسير النبوي إلا نادراً ، ومنه ماجاء عن أبي سعيد الخدري من تفسير الرسول -
صلى الله عليه وسلم- للفظة (وسطاً) من قوله (تعالى) : - ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطاً ﴾ [البقرة : 143] قال (والوسط العدل) [10] .
2- بيان حكم فقهي في الآية :
قد يرد الحكم في آية مطلقا فيذكر الرسول -صلى الله عليه وسلم- مزيد بيان
له ، وذلك إما بتحديد مقدار الحكم الفقهي ، أو تخصيص اللفظ العام أو غير ذلك .
ومن تحديد المقدار : مارواه البخاري في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ فَمَن كَانَ
مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾
[البقرة : 196] عن كعب بن عجرة قال : حملت إلى النبي -صلى الله عليه
وسلم- والقمل يتناثر على وجهي ، فقال : ماكنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا ، أما تجد شاه ؟
قلت : لا
قال : صم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين ؛ لكل مسكين نصف صاع من
طعام واحلق رأسك) فنزلت فيّ خاصة ، وهي لكم عامة [11] .
فأنت ترى أن البيان القرآني لم يحدد المقدار في الفدية ، فلما فسر الرسول -
صلى الله عليه وسلم- فسرها بالمقدار ، وأنت تعلم أن هذا أحد أنواع بيان السنة
للقرآن .
ومن تخصيص العام في الحكم الفقهي ، مارواه مسلم عن أنس قال : كانت
اليهود إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت ، فسأل أصحاب
النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فأنزل الله (عز وجل) ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ
هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ ﴾ [البقرة : 222] إلى آخر الآية ، فقال
رسول الله : (اصنعوا كل شيء إلا النكاح) [12] .

فلو أُخذ بظاهر العموم في قوله (فاعتزلوا) لفهم أن اعتزال المرأة عام : في
مؤاكلتها ومشاربتها ومخالطتها ومجامعتها ، فكان هذا البيان النبوي مخصصا لذلك
العموم القرآني .

3- بيان المشكل :

إنما يعرف المشكل بسؤال الصحابة عنه ؛ لأن السؤال لايقع إلا بعد استشكال
في الغالب ومن أمثلة ماسأل عنه الصحابة : حياة الشهداء .

قال مسروق : سألنا عبد الله عن هذه الآية : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَذِينَ قُتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : 169] فقال : أما إنا
قد سألنا عن ذلك ، فأخبرنا أن أرواحهم في جوف طير خضرٍ ، لها قناديل معلقة
بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ..)
الحديث [13] .

وعن المغيرة بن شعبة (رضى الله عنه) قال : لما قدمتُ نجران سألوني : إنكم
تقرؤون : ﴿ يا أخت هارون ﴾ [مريم : 28] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا .

فلما قدمت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سألته عن ذلك فقال : إنهم
كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم) [14] .

4- ذكر مصداق كلامه من القرآن :

ورد في تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- أحاديث كثيرة يذكر فيها مصداق
كلامه من القرآن ، وتأتي عبارات : (ثم قرأ) (اقرؤا إن شئتم) (مصداق ذلك من
كتاب الله) ، ومن ذلك ماروواه ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله-صلى
الله عليه وسلم- : (من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه
غضبان ، وقال عبد الله : ثم قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مصداق ذلك
من كتاب الله جل ذكره : ﴿ إنَّ الَذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا
خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ .. ﴾ [آل عمران : 77] [15] .

5- بيان مبهم :

القاعدة الغالبة أن ما أبهمه القرآن فلا فائدة عملية تنال من ذكره ، ومع ذلك
فإنه ورد سؤال الصحابة عن ذلك ، إلا أنه نادر ، ومن ذلك ما رواه مسلم عن أبي
سلمة بن عبد الرحمن ، قال : مرّ بي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، قال :
قلت له : كيف سمعت أباك يذكر المسجد الذي أسس على التقوى ؟ .
قال : قال أبي : دخلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بيت
بعض نسائه ، فقلت : يارسول الله ، أي المسجدين الذي أسس على التقوى ؟
قال : فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا ؛
لمسجد المدينة .
قال : فقلت : أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره) [16].

أخيراً ..

هذه بعض الأمثلة للتفسير النبوي ، والموضوع يحتاج إلى جمع وتأمل لتحديد
نوع المثال ، مما يفيد في معرفة ماكان يحتاجه الصحابة من البيان النبوي للقرآن ،
ولعل أقرب ما يذكر هنا هو ندرة ماورد عنه من بيان معنى غريب القرآن ؛ مما
يترتب عليه أن فهم عربيته كان موكولا للصحابة (رضي الله عنهم) ، والله أعلم .

المسألة الثالثة : ما يستفاد من التفسير النبوي في أصول التفسير :

إن النظر في التفسير النبوي ، واستنطاق الأمثلة التفسيرية فيه يفيد في
جوانب عدة ، ومما يفيده هنا أن طريقة التفسير النبوي أصل معتمد في التفسير ،
فإذا ورد عنه تعميم للفظ ، أو تفسير بمثالٍ ، أو غير ذلك ، حُكِم بصحة هذه
الأساليب التفسيرية في التفسير ، وأنها في المجال الذي يمكن الاقتداء به ولاقياس
عليه .
كما أنه يفيد في بيان صحة بعض الأساليب التي اعتمدها المفسرون من السلف .
ثم إن هذا يفيد في تصحيح بعض مرويات السلف التي جاءت مخالفة للعبارة
النبوية في التفسير ، ذلك أن تحرير هذه الأساليب في التفسير النبوي يبين مدى

احتمال النص لغير عبارة النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وفيما أظن حسب علمي
أن (فِقهَ النصّ التفسيري) من التفسير النبوي لم يلق عناية من هذا الجانب ، ولذا
قمت بهذه المحاولة الاجتهادية لبيان هذه الفكرة من خلال أمثلة توضح ذلك .

إن مثل هذه الدراسة السريعة لا تكفي في تأصيل قضية كهذه ، ولكنه جهد
المقل ، وبذرة ألقيها لتجد طريقها إلى النماء إن شاء الله وإليك أخي القارئ عرض
الأمثلة :

* المثال الأول :

عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال : (سمعت رسول الله -صلى الله
عليه وسلم- وهو على المنبر يقول : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾
[الأنفال : 60] ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي) [17] .

وجاء عن جمع من السلف ما يلي :

1- لقوة : الرمي من القوة (مكحول) .
2- لقوة : الرمي والسيوف والسلاح (ابن عباس)
3- مرهم بإعداد الخيل (عبّاد بن عبد الله ابن الزبير)
4- لقوة : ذكور الخيل (عكرمة ومجاهد) .
5- لقوة : الفرس إلى السهم ومادونه (سعيد بن المسيب) [18] .

لقد فسر الرسول -صلى الله عليه وسلم- القوة بالرمي ، فهل يُطّرح ماورد
عن السلف من عبارات مخالفة لما جاء عنه -صلى الله عليه وسلم- ، ويقال : مادام
النص قد ثبت طاح ما دونه .

أم يقال : إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أراد أن يشير إلى القوة التي
هي أنكى أنواع القوة ، وأشدها تأثيراً في الحرب ؟ .

الذي يظهر والله أعلم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أراد هذا ، وقد أشار
إلى ذلك الإمام الطبري فقال : (والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أمر
المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب ، ومايتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من
المشركين من السلاح والرمي ، وغير ذلك ، ورباط الخيل .

ولا وجه لأن يقال : عنى بالقوة معنى من معاني القوة ، وقد عمّ الله الأمر بها .

فإن قال قائل : فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد بين أن ذلك مراداً
به الخصوص ؛ بقوله : (ألا إن القوة الرمي) . قيل له : إن الخبر وإن كان قد جاء
بذلك ، فليس في الخبر مايدل على أنه مراد به الرمي خاصة دون سائر معاني القوة
عليهم ، فإن الرمي أحد معاني القوة ؛ لأنه إنما قيل في الخبر : (ألا إن القوة الرمي)
ولم يقل : دون غيرها .
ومن القوة أيضا : السيف والرمح والحربة ، وكل ماكان معونة على قتال
المشركين ، كمعونة الرمي ، أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم . هذا مع
وهاء سند الخبر بذلك عن رسول الله) [19] .
وبهذا يمكن القول أنه لما لم يكن في تفسير الرسول -صلى الله عليه وسلم-
مايدل على التخصيص ، دل ذلك على أن مراده التمثيل ، ولما مثل للقوة ذكر أعلى
القوة وأشدها .
وإذا كان ذلك كذلك فإن روايات السلف لاتكون معارضة للتفسير النبوي ، ولذا
يصح قبولها والتفسير بها ؛ لأنها تدخل في عموم القوة .
ونتيجة القول : أن التفسير بالمثال أسلوب صحيح في التفسير ؛ لأنه وارد عن
الرسول -صلى الله عليه وسلم- في مثل هذا الحديث ، والله أعلم

*** المثال الثاني :**

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال :
مفاتح الغيب خمس : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : 34] [20] .
في هذا المثال تجد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسر (مفاتح الغيب)
في قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ... ﴾ [الأنعام : 59] بآية
لقمان : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... ﴾ [لقمان : 34] .
ويمكن القول : إن تفسير القرآن بالقرآن مسلك صحيح من مسالك التفسير بناء
على هذا المثال .
ولعلك تقول : إن هذا المسلك واضح ومعروف مشهور .

فأقول لك : إن المراد هنا تأصيله بوروده عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ،
إذ في وروده عنه ماينبه إلى استعمال هذا المسلك .
ومما يدل على ذلك أن الصحابة لما استشكلوا قوله (تعالى) : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : 82] قال لهم : إنه
ليس بذاك ألا تسمعُ إلى قول لقمان لابنه : ﴿ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾
[لقمان : 13] [21] .
فكأنه -صلى الله عليه وسلم- يرشدهم إلى هذا المسلك بقوله : (ألا تسمع) ،
وكان يمكن إجابتهم وحل إشكالهم بدون الإشارة إلى الآية والله أعلم .

وأخيراً ..

إذا كان يمكن استنباط بعض الأساليب التفسيرية في التفسير النبوي والقياس
عليها ، فإن هناك مالايقاس عليه ، ومنه :

أولاً : أن يكون التفسير في بيان حكم شرعي :

عن أنس بن مالك قال : (كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ،
ولم يجامعوهن في البيوت . فسأل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فأنزل
الله عز وجل ﴿ ويَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ ﴾
[البقرة : 222] .
فقال رسول الله : (اصنعوا كل شيء إلا النكاح) [22] .
إن قول الله (تعالى) : ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ ﴾ لفظ عام ، ويمكن أن
يفهم منه اعتزال النساء في المؤاكلة والمنام والبيوت ، فذكر الرسول -صلى الله
عليه وسلم- ما يدل على تخصيص الاعتزال بالمجامعة دون غيرها من المعاشرة .

ثانيا : أن يكون التفسير لبيان أمر غيبي :

عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذا الآية ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الَذِينَ
قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [ال عمران : 169] . فقال :
أما إنا قد سألنا عن ذلك ، فقال : أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل
معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل) [23] .

إن صفة حياة هؤلاء الشهداء لايمكن إدراكها إلا عن سماع من النبي - صلى
الله عليه وسلم- ، ولذا سأل الصحابة عن هذه الحياة الخاصة بالشهداء .

إنه في مثل هذين المثالين لايمكن استنباط (أسلوب تفسيري (لأن المجال في
هذا ليس مفتوحا بحيث يمكن الاستنباط منه ، بل هو محدد لبيان حكم شرعي أو أمر
غيبي ، ولذا يقف المفسر عند النص ولايمكنه تجاوزه ، ليستفيد منه في نص آخر
يقيسه عليه .

---

(1) كان ابن كثير من أكثر المفسرين تأثرا بهذا المنهج الذي عند المحدثين .
(2) ماذكره من قوله : (بيان مايقرأ بعد تمام سورة) ظاهر أنه ليس من التفسير ، فتأمل .
(3) لامع الدراري : 9/45 .
(4) انظر : لامع الدراري : 9/4 (حاشية رقم(1)) .
(5) انظر : فتح الباري 6/431 .
(6) السنن الكبرى 6/ 329 .
(7) سنن الترمذي 5/347 .
(8) انظر : فتح الباري 8/36 ومثله النسائي في السنن الكبرى 1/301 .
(9) السنن الكبرى للنسائي 6/339 .
(10) رواه البخاري (فتح الباري 8/21) .
(11) رواه البخاري (فتح الباري 8/34) .
(12) رواه مسلم ح/رقم 302 .
(13) أخرجه مسلم ح/ 1887 .
(14) رواه مسلم ح/2135 .
(15) رواه البخاري .
(16) رواه مسلم ح/1398 .
(17) رواه الإمام مسلم ح/1917 .
(18) انظر : الدر المنثور : 4/83 ومابعدها .
(19) تفسير الطبري (ط : شاكر (14/37 وما ذكر الطبري من وهاء السند ؛ لأنه رواه من طريق ابن لهيعة (14/3) ولذا ضعفه فيما يظهر ولم يكن عنده له إسناد آخر ، والحديث كما علمت رواه مسلم وغيره ، فلا شك في صحته .
(20) رواه البخاري في مواضع من صحيحه (فتح الباري 8/141 (ومن الطريف في تفسير القرآن بالقرآن عند النبي أنه فسر آيتين من سورة الأنعام بآيتين من سورة لقمان .
(21) رواه البخاري في مواضع من صحيحه (فتح الباري 8/372) .
(22) رواه مسلم برقم 302 .
(23) رواه مسلم برقم 1887 .

دراسات تربوية

رمضان بين الواقع والواجب

بقلم : فيصل بن علي البعداني

رمضان من مواسم الخيرات التي امتن الله (تعالى) بها على عباده ، ليقوى
إيمانهم ، وتزداد فيه تقواهم ، وتتعمق صلتهم بربهم ، قال (تعالى) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ
آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
[البقرة : 183] . والمتأمل في النصوص الشرعية الواردة في الصيام ، التي تتحدث عن حِكَم الصيام وغاياته في الشريعة وفي واقعنا معاشر المسلمين يجد بوناً كبيراً لدى أكثر عامة الأمة وكثير من شباب الصحوة بين الواقع والواجب .

وسأحاول بإذن الله (تعالى) أن أتلمس أبرز الأسباب التي أدت إلى هذا التباين ، معرجاً على شيء مما ييسر الله (تعالى) له من طرق العلاج .

أولاً : الأسباب :

هناك أسباب كثيرة من أبرزها :

1- الجهل بأهداف وحِكَم الصيام وغاياته :

يعد الجهل بأهداف وحكم الصيام وغاياته في الشريعة لدى كثير من المسلمين ، وقيامهم بالتطبيق تقليداً ومسايرة للمجتمع من دون التأمل والدراسة من أبرز
أسباب هذا التباين ، يقول الشيخ الدوسري : (فإن لم يكن البشر واعين لحكمة
التشريع الإلهي وثمراته في الدنيا قبل الآخرة ، فإنهم لن يطبقوه على تمامه ، أو
على الوجه الصحيح) [1] ، ويمكن إيجاز أهم تلك الحكم فيما يلي :

* تحقيق التقوى :

تعد التقوى من أبرز حكم الصيام .

يقول الرازي : (إن الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وانقماع
الهوى ؛ فإنه يردع عن الأشر والبطر والفواحش ، ويهون لذات الدنيا ورياستها ،
وذلك لأن الصوم يكسر شهوة البطن والفرج ، فمن أكثر منه هان عليه أمر هذين ،
وخفت عليه مؤونتهما ، فكان ذلك رادعاً له عن ارتكاب المحارم والفواحش ، ومهوناً
عليه أمر الرياسة في الدنيا ، وذلك جامع لأسباب التقوى ..) [2] .

* التربية على الصبر وقوة الإرادة :

التربية على الصبر من أبرز مرامي الصيام حتى سمى النبي -صلى الله عليه

وسلم- شهر الصيام : بشهر الصبر إذ في الصوم (تربية لقوة الإرادة على كبح
جماح الشهوات وأنانية النفوس ، ليقوى صاحبها على ترك مألوفاته أكلاً أوشرباً أو
متاعاً ، فيكون قوي الإرادة في الإقدام على أوامر الله ، -صلى الله عليه وسلم- التي
من أعظمها حمل الرسالة المحمدية والدفع بها إلى الأمام ، ساخراً بما أمامه من كل
مشقة وصعوبة .. والصوم يمثل ضرباً من ضروب الصبر ، الذي هو الثبات في
القيام بالواجب في كل شأن من شؤون الحياة) [3] إذ يصبر فيه الإنسان نفسه على
طاعة الله (تعالى) بالوقوف عند حدوده فعلاً وتركاً ، قال تعالى بعد أن ذكر شيئاً من
أحكام الصيام تلك حدود الله فلا تقربوها [البقرة : 187] ، كما يضبطها ويمنعها
عن لذاتها طواعية وامتثالاً لأمر الله (تعالى) وطلباً لثوابه ، وفي ذلك من التربية
على قوة العزيمة والإرادة ما يجعل الإنسان متحكماً في أهوائه وشهواته .

* التربية على الاستسلام والخضوع لله (تعالى) :

يربي الصيامُ المسلم على ضبط نفسه الأمارة بالسوء ، ويمكنه من السيطرة
عليها والإمساك بزمامها ، بحيث لايكون مستسلماً لها بل مستسلماً لأوامر ربه
خاضعاً منقاداً لنواهيه ، مؤثراً لمحابه سبحانه ، مقدماً لها على رغائب الجسد
وشهواته .

* إنشاء الخوف من الله (تعالى) ومراقبته :

الصيام عبادة خالصة بين العبد وربه ، ولذا فإنه يربي في المسلم الخوف من
الله (تعالى) ومراقبته والتطلع لثوابه ، إذ بإمكانه أن يُظهر الصيام أمام الخلق وهو
غير صائم أصلاً ، سواء أكان عن طريق تناول شيء من المفطرات ، أو بمجرد
فقدان النية ، وإن أمسك عنها طوال النهار ، وفي ذلك من ظهور صدق الإيمان
وكمال العبودية وقوة المحبة لله (تعالى) ورجاء ماعنده ماجعل جزاء الصيام عند الله
(تعالى) أعظم من جزاء جل العبادات ، قال الله (تعالى) في الحديث القدسي : (كل

عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ماشاء الله
عزوجلّ ، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من
أجلي ..) [4] . قال ابن القيم : (والعباد قد يطلعون منه على ترك
المفطرات الظاهرة ، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل
معبوده فهو أمر لايطلع عليه بشر ، وذلك حقيقة الصوم) [5] .

*** لمّ شعث القلب ، والتفكر في ملكوت الله (تعالى) :**

لما كان فضول الطعام والشراب والكلام والمنام ومخالطة الأنام مما يزيد القلب
شعثاً ويشتته في كل وادٍ ، ويقطعه عن سيره إلى الله (تعالى) ، أو يضعفه أو يعوقه
ويوقفه ، اقتضت رحمة الله (تعالى) بعباده أن شرع لهم من الصوم مايذهب فضول
الطعام والشراب ، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات وشرع لهم من العبادات
أثناءه من اعتكاف وقيام ودعاء وتلاوة قرآن مايذهب فضول الكلام والمنام ومخالطة
الأنام . ولذا صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : (الصوم جنة وحصن
حصين من النار) [6] بل عده حصناً للمؤمن ، وذلك لكونه :
كاسراً للشهوة ومضعفاً لها ، قال : (خصاء أمتي الصيام) [7] ، وقال :
(يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم
فإنه له وجاء) [8] .
ومضيقاً على الشيطان مجاريه بتضييق مجاري الطعام والشراب قال : (إن
الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) [9] ، فتسكن بذلك وساوس الشيطان .
كما أن القلب في حال الصيام يتفرغ للتفكر في آيات الله (تعالى) وملكوته ،
لأن الإفراط في تناول الشهوات يستوجب الغفلة ، وربما يقسي القلب ويعمي عن
الحق ، قال ابن رجب : (وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب
رقته ويزيل قسوته ويخليه للذكر والفكر) [10] .

*** معرفة العباد لما هم فيه من نعم ، وتذكر الأغنياء لحال إخوانهم الفقراء :**

يحصل للأغنياء نتيجة امتناعهم عن الطعام والشراب في نهار الصيام مشقة ،

فيوجب ذلك لهم معرفة قدر نعمة الله (تعالى) عليهم بالغنى ؛ حيث مكنهم من تلك
النعم طوال العام مع ابتلاء عبادٍ له آخرين بالحرمان ؛ مما يستوجب الشكر لله
(تعالى) على ذلك .
كما أن الفقراء ينظرون في العطايا التي يعطاها العباد خلال هذا الشهر من
خلو الذهن للتفكر والعبادة والذكر نتيجة الجوع وخلو البطن ، ويرون أن حالهم
مقاربة لذلك في غالب العام ، وأنهم مؤهلون لاستغلال تلك النعم طوال الوقت مما
يستدعي شكرها . كما أن الصيام يجعل الأغنياء يتذكرون حال من حولهم من
إخوانهم الفقراء ، ويدعوهم إلى رحمة المحتاجين ومواساتهم بما يمكن من ذلك .

*** قوة الأجساد وصحتها :**

الأصل في مشروعية الصيام أنه يقوي الإيمان ويكسب العبد التقوى التي
تحجزه عن المعاصي والآثام إلا أن له حكماً وفوائد أخر ، من أبرزها : ما اتضح
في عصرنا من تقويته للأجساد وأثره في صحتها بالوقاية من العلل والأمراض
الجسمية والنفسية .

2- تعليق الصيام بالتروك فقط :

يعتقد كثير من الناس أن الصيام جملة من التروك فقط ، متناسين أن الله
(تعالى) شرع الصيام وشرع معه جملة من الأعمال التي تتظافر لتحقيق غايات
الصوم وآثاره المرجوة منه ، ولعل من أبرز تلك الأعمال التي دلت عليها النصوص :

* قيام الليل ، قال : (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من
ذنبه) [11] .

* العمرة ، قال : (عمرة في رمضان كحجة معي) [12] .

* تفطير الصائمين ، قال : (من فطر صائماً كان له مثل أجره ، غير أنه
لاينقص من أجر الصائم شيئاً) [13] .

* قراءة القرآن وختمه : قال : (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ،
يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشراب فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته

النوم بالليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان) [14] ، وثبت أن النبي -صلى الله عليه
وسلم- كان يلقاه جبريل في كل سنة في رمضان ، فيعرض عليه النبي -صلى الله
عليه وسلم- القرآن .
* الصدقة : عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : (كان رسول الله -صلى
الله عليه وسلم- أجود الناس بالخير ، وكان أجود مايكون في شهر رمضان) [15]
قال الشافعي : (أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء بالرسول -صلى
الله عليه وسلم- ؛ لحاجة الناس فيه إلى مصالحهم ، ولتشاغل كثير منهم بالصوم
والصلاة عن مكاسبهم) .
* الاعتكاف : عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : (كان رسول الله -صلى
الله عليه وسلم- يعتكف العشر الأواخر من رمضان) [16] . قال الزهري : (عجباً
للمسلمين تركوا الاعتكاف ، مع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ماتركه منذ قدم
المدينة حتى قبضه الله عز وجل) .
* الدعاء : حيث ذكر الله (تعالى) في ثنايا آيات الصيام قوله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : 186] ليرغب
الصائم في كثرة الدعاء ، وقال : (ثلاث دعوات مستجابات : دعوة الصائم ، ودعوة
المظلوم ، ودعوة المسافر) [17] .
* التوبة : رمضان موسم التوبة والعودة إلى الله (عز وجل) وذلك لعظيم جوده
(تعالى) وفضله في كل وقت ، وفي هذا الشهر خاصة ، حيث تصفد
الشياطين [18]، وله سبحانه في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار بالإضافة إلى تهيؤ الإنسان
بالصوم وسائر العبادات لذلك ، ولذا قال : (رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم
انسلخ قبل أن يغفر له) .
* الاجتهاد في العمل مطلقاً في العشر الأواخر : عن عائشة (رضي الله عنها)
قالت : (كان -صلى الله عليه وسلم- إذا دخل العشر أحيا الليل ، وأيقظ أهله وجد
وشد المئزر) [19] وقالت (رضي الله عنها) أيضاً (كان رسول الله -صلى الله عليه

وسلم- يجتهد في العشر الأواخر مالايجتهد في غيره) [20] .
والأفعال المشروعة في رمضان كثيرة ، فالمفترض في حق المسلم أن يحرص
على شغل وقته بما يعود عليه بالنفع أكثر عند لقاء الله (عز وجل) .
3- عدم استشعار أثر المعاصي على الصيام :
الذنوب سبب حرمان الله للعبد من الاستفادة من الصيام وتحقيقه التقوى فيه ،
قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾
[الشورى : 30] ولذا فإن : (الصوم ينقص ثوابه بالمعاصي وإن لم يبطل بها ، فقد
لايحصل الصائم على ثواب مع تحمله التعب بالجوع والعطش لأنه لم يصم الصيام
المطلوب) .
وقد وردت عدة أحاديث تبين ذلك المعنى وتجليه منها قوله : (رب صائم ليس
له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر) [21] وقال :
(ليس الصيام من الأكل والشرب ، إنما الصيام من اللغو والرفث ، فإن سابك أحد ،
أو جهل عليك ، فقل : إني صائم) [22] ، وقال -صلى الله عليه وسلم- (من لم يدع
قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه [23]
4- أخطاء بعض الصائمين :
يقع بعض الصائمين في أخطاء منها :
* الإسراف في الإنفاق : الأصل في الصيام أنه مدرسة عملية للاقتصاد
وتعويد النفس الجلد وقوة التحمل عند الأزمات ، وضبط النوازع والرغبات ، ولكن
الذي يحصل في واقع الكثير من المسلمين في وقتنا الحاضر العكس ، حيث تزداد
النفقات وتتجاوز حد الاعتدال إلى التبذير والإسراف .
* التوسع في تناول الأطعمة والأشربة وسائر الملذات : صار موسم الصيام
في حياة أناسٍ موسماً لتنويع المآكل والمشارب وتناول الملذات ، ولايخفى مافي ذلك
من منافاة لغرض الصيام ومراميه .
* السهر في الليل والنوم في النهار : ينقلب الحال في رمضان في حياة
الكثيرين ، فيصبح الليل نهاراً والنهار ليلاً ؛ بحيث يصبح الليل وقتاً للاجتماع

والسهر ، والنهار وقتاً للنوم والكسل ، هذا إذا لم يصاحب ذلك اجتماع على محرمات
وتضييع للواجبات ، وعدم القيام بالعبادات كما يجب .
* التعلق بالدنيا وعدم الاهتمام بشأن الآخرة : مع دخول رمضان يزداد انشغال
كثيرين بتجاراتهم وبيعهم وشرائهم ، ويأخذ ذلك منهم جل الليل والنهار ، ومع أن
البيع والشراء حلالان في الإسلام ، إلا أن المذموم من ذلك ، هو تعلق القلب بمتاع
الدنيا ، وإعطاء كل جهدِه ووقته لذلك مع إغفال المرء لحظ نفسه في الآخرة
وحاجتها إلى أعمال صالحة تهذبها ، وتزيل عنها درنها وشوائبها .
* مخالطة البطالين : وهم مضيعوا أوقات العباد فيما لايعود عليهم بنفع ديني
أو دنيوي وليس من شرطهم الإفساد والانحراف عن جادة الحق الصواب ومخالطة
العبد لهم وإكثاره من ذلك يعود عليه بالندم والحسرة في كل وقت فكيف في مواسم
الخيرات ؟ !

*** أخطاء في أداء بعض العبادات :**

يحرص بعض الموفقين للخيرات على القيام ببعض العبادات ، ولكن يعتري
تطبيقهم بعض الأخطاء ، ومن ذلك :
أ- التأخر عن الصلاة : وذلك للتأخر في الخروج من المنزل لصلاة العشاء
والتراويح والذهاب إلى مسجد بعيد ليصلي مع إمام يجيد القراءة ، وقد يؤدي ذلك
التأخر إلى فوات صلاة الجماعة أو بعضها ، مع أن صلاة الجماعة واجبة على
الأرجح ، وصلاة التراويح نافلة .
ب- تشدد بعض الحريصين على الاتباع في تحديد عدد صلاة التراويح ، مما
يؤدي ببعضهم إلى أن لايصلي مع إمامه حتى ينصرف إذا كان يزيد على الحد
المعروف عنده ، وأحسب أن هذا اجتهاد مأجور إن شاء الله ، لكن أخشى أن يفوته
أجر قيام ليلة مع مايصاحب ذلك عند بعضهم من البغضاء والشحناء بين المختلفين
في العدد .
ج- حرص بعض المسلمين على ختم القرآن في رمضان مرة أو أكثر :

ولاإشكال في ذلك لثبوت مشروعيته ، ولكن الإشكال في كيفية تلاوتهم إذ يهذّ بعض
القراء في التراويح وغيرها القرآن هذّاً كهذّ الشعر بدون تدبر لمعانيه وتفهم لأحكامه ، وقد قال الله (تعالى) : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [ص : 29] . صحيح أنه ثبت عن بعض السلف أنه كان يختم القرآن في
رمضان كل ليلة ، حتى قال الزهري : (إذا دخل رمضان فإنما هو قراءة القرآن
وإطعام الطعام (ولكن خير الهدي هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي قال :
(لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث) .

د- يحرص بعض المسلمين على الاعتكاف ، ولكن قد يعتكفون جماعات ،
فيحلو بينهم الحديث وتتسع أبوابه ، ويكون الاعتكاف موضع عشرة ومجلبة
للزائرين ، يقول ابن القيم بعد ذكره لهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في
الاعتكاف : (كل هذا تحصيل لمقصود الاعتكاف وروحه ، عكس مايفعله الجهال من
اتخاذ المعتكف موضع عشرة ، ومجلبة للزائرين وأخذهم بأطراف الأحاديث بينهم ،
فهذا لون والاعتكاف النبوي لون) .

هـ- تتفتح أبواب الخير وطرقه على الصالحين في رمضان بشكل لايمكن العبد الإحاطة بها جميعاً ، مما يتطلب منه المفاضلة بين الأعمال واختيار ما يكون أصلح لقلبه وأكثر نفعاً لأهله ومجتمعه ، والملاحظ في واقع كثير من الصالحين أنه يريد الإحاطة بكل خير يمكنه القيام به فلا يقوم بشيء منها ، أويقوم بأعمال خيرة يمكنه أن يقوم بأفضل منها ، أو يوكل القيام بها إلى شخص حوله لايمكن أن يقوم بشيء منها بدون ذلك ويقوم هو بغيرها .

5- الوسائل الإعلامية والعلاقات الاجتماعية :

لوسائل الإعلام سواء أكانت مرئية أو مسموعة أو مقروءة دور كبير في
تشتيت أذهان كثير من الصائمين وبالأخص الشباب والنساء ، وبالتالي إشغالهم عن
استيعاب غايات الصيام ومراميه ، والاستفادة منها في إصلاح النفوس والمجتمعات
بالشكل المطلوب وذلك من خلال المواد التي تقدمها تلك الوسائل والتي تصب غالباً
في الجانب الترويحي ، وماتبقى من مجالات تكون في الغالب سطحية مع اشتمال
كثير منها على جوانب محرمة .

كما أن للتوسع في العلاقات الاجتماعية بين الأسر والأصدقاء دوراً ملحوظاً
في إضاعة الأوقات ، ولذا فإني أرى أن الخير للمسلم أن يقلل من علاقاته تلك في
هذا الشهر ما أمكن ، وأن يجعلها مقصورة على الصلة أو المواساة والدعوة إلى الله
(تعالى) ، وتدارس أحكام الإسلام وتعاليمه .

ثانياً : العلاج :

كانت تلك أبرز الأسباب لتلك الظاهرة ، ولعل من أبرز وسائل علاجها
بالإضافة إلى معالجة مسببات تلك الأسباب وآثارها ، مايلي :

1- أن يقوم العلماء والدعاة بدورهم في التربية والتوجيه للأمة ، سواء عن
طريق الاختلاط بالناس لتعليمهم ، أو تقديم القدوات الحسنة لهم ، عن طريق السلوك
والممارسات المنضبطة بالشرع .

2- أن يستوعب المسلم حقيقة وظيفته في الحياة ، وأهمية الوقت
بالنسبة إليه ؛ ليكون ذلك دافعاً له للجدية في حياته ، والموازنة بين
مايمكن أن يقوم به من أفعال ، ولكي يستفيد من نعمة الوقت بشكل أفضل ، بعيداً عن الإغراق في المباحات
والمستحبات على حساب الفرائض والواجبات ، كما عليه أن يقوم بترويض نفسه
على القيام بالأعمال الصالحة ، كالتبكير للصلاة ، والجلوس بعد الفجر في المسجد
إلى طلوع الفجر .. ونحوها ، ليتعود على ممارستها والاستمرار عليها بعد رمضان .

3- أن يعمل الجميع على تعميق روح الاتباع للنبي -صلى الله عليه وسلم-
والتأسي به في سائر شؤون الحياة عموماً وفي شهر الصيام خصوصاً ، وهذا يتطلب
تعلم فقه الصيام وآدابه ، واستيعاب حِكَم الصيام وغاياته ، وتقريب الوسائل التي
تتيح لسائر فئات الأمة الاستفادة من الصيام في تهذيب النفوس ، ونشر الخير
والفضيلة ومحاربة الشر والرذيلة ، بشكل أفضل .

4- أن تقوم مؤسسات التوجيه سواء أكانت إعلامية أو تعليمية أو تربوية أو
تروحية بدورها التوجيهي المنطلق من ديننا والمدرك لطبيعة التحديات التي تمر بها
أمتنا عن طريق نشر الجدية ، والاستمساك بالدين بقوة في سائر حياة الأمة عموماً ،
والشباب منهم على وجه الخصوص .

5- أن يعيد الدعاة أفراداً ومؤسسات تقويم برامجهم الدعوية سواء من حيث
الكم أو الكيف حتى تساعد بشكل أفضل على معالجة هذا التباين ، وتعمل على إزالة
وتصحيح آثاره حتى تتحقق تقوانا ويقوى إيماننا بإذن الله (تعالى) . والله نسأل أن
يجعلنا من المقبولين .

---

(1) صفوة الآثار والمفاهيم 3/82 .
(2) مفاتيح الغيب 5/70 .
(3) تفسير المنار 2/45 .
(4) مسلم 2/807 ، ح/ 1151 .
(5) زاد المعاد 2/29 .
(6) أحمد 2/402 وحسنه الألباني انظر صحيح الجامع ، ح/ 3880 .
(7) أحمد 2/173وصححه الألباني في صحيح الجامع ، ح/3228 .
(8) مسلم 2/1018 ، ح/1400 .
(9) مسلم 2/1712 ، ح/2175 .
(10) لطائف المعارف ص 290 .
(11) مسلم 1/523 ، ح/ 759 .
(12) الحاكم 1/483 وصححه الألباني في الإرواء ح 1587 .
(13) أحمد 2/174وصححه الألباني في الإرواء ح/6415 .
(14) أحمد وصححه الألباني في الإرواء ح/3882 .
(15) مسلم 4/1803 ، ح/2308 .
(16) مسلم 2/830 ، ح/ 1171 .
(17) صحيح الجامع ، ح/ 3030 .
(18) انظر مسلم ك2/875 ، ح/1079 .
(19) مسلم 2/832 ، ح/1174 .
(20) مسلم 2/832 ، ح/1175 .
(21) أحمد 2/373 ، وانظر صحيح الجامع ، ح/3488 .
(22) الحاكم 1/420 ، صحيح الجامع ، ح/5376 .
(23) البخاري مع الفتح 4/116 ، ح/1903 .

مقال

نظرات

في قضية ترجمة معاني القرآن الكريم

(4)

بقلم : د . فهد بن محمد المالك

بعد أن استعرضنا في الحلقات الثلاث الماضية من هذه السلسلة التي أسأل الله
العظيم أن أكون قد قدمت فيها للقارئ العزيز معلومات مفيدة قضية ترجمة معاني
القرآن الكريم وما يدور حولها من توجيهات وقواعد ، وبعد أن ذكرنا أن جميع
الترجمات وبدون استثناء تحتاج للمزيد من الدراسة والبحث لما تحويه تلكم
الترجمات من أخطاء ، ولما يكتنفها من قصور وخلل ، لعلنا في هذه
الحلقة الأخيرة نسلط الضوء على نماذج من بعض الأخطاء التي وقع فيها أولئك
المترجمون ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه النماذج من الأخطاء هي غيض من
فيض مما هو موجود في الترجمات المتداولة ، ولو أردنا الإسهاب في سردها لطال
بنا المقام ولَكَلّ منا البنان .

ونظراً لطول الموضوع وتشعبه ، فقد آثرت أن أقتصر على سرد نماذج من
الأخطاء العَقَدِيّة والأخطاء الفنية دون التوسع فيها ، وهدفي من ذلك : حفز همم
المسلمين عموماً ، والمهتمين بكتاب الله (عز وجل) خصوصاً إلى مزيد من بذل
الجهد في مواجهة هذا الطوفان الذي أصاب أغلى وأثمن كتاب على وجه الأرض ،
وهدفي الآخر هو تبصير أهل الإسلام بخطورة الأمر ، وأنه جدير بالعناية والتركيز .

أولا : نماذج من الأخطاء العقدية :

إن فكر المترجم وعقيدته ومنحى حياته لهو من الأمور التي سبق أن أشرت
إلى أن لها تأثيراً كبير ا على الترجمة وعلى أسلوبها ، وكما قيل : (كل إناء بما فيه
ينضح) .

ولعل الأمثلة الآتية تبين صدق ذلك :

المثال الأول :

تعتبر ترجمة محمد أسد (رحمه الله) التي أعطيت فكرة مبسطة عنها في الحلقة
الماضية من الترجمات القوية من الناحية اللغوية ومن الناحية الفنية ، ومحمد أسد
معروف لدى الكثير من القراء من خلال كتابه الشهير (الطريق إلى مكة) ، إلا أنه
(رحمه الله) حَكّم عقله كثيراً في ترجمته على حساب النص الصريح ؛ مما أدى به
إلى الوقوع في شطحات كبيرة ، خالف بها مذهب أهل السنة والجماعة ، ومن هذه
الشطحات :

أ - أنه يَشكّ في حقيقة : أن إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) قد وقع في النار
حقيقة عندما قذفه فيها النمرود ، وأنه (عليه الصلاة والسلام) قد بقي حياً وهو في
النار ، ويرى محمد أسد أن ذلك لا يقبله العقل بتاتاً ، فيقول في تعليقه على الآية :

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء : 69]

Nowhere does the Qura'n state that Abraham was actually, bodily thrown into the Fire and miraculously kept alive in it.[1]

وترجمة ذلك :

(لم يرد في أي موضع من القرآن أن إبراهيم) عليه الصلاة والسلام (قد
قُذِفَ في النار بجسمه حقيقة ، وأنه (عليه الصلاة والسلام) بقي حياً فيها بمعجزة
إلهية) .

بل إن محمد أسد تجاوز ذلك إلى القول : إن هذه القصة والواقعة أي قصة
قذف النمرود لإبراهيم (عليه الصلاة والسلام) في النار من المعتقدات التلمودية التي
يجب تجاهلها .

ب - يَشُكّ محمد أسد (رحمه الله) مصداقية أن عيسى عليه الصلاة والسلام قد
تكلم في المهد ، ويرى أن تكلم الطفل وهو في المهد من الأمور التي لا يقبلها العقل
البشري ، يقول في تعليقه على الآية :

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي المَهْدِ صَبِياً (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ
اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِياً ﴾ [مريم : 29 ، 30] .

Since it is not conceivable that anyone could be granted divine revelation and made a prophet before attaining to full maturity of intellect and experience, … However, the whole of this passage (verses 30- 33) may also be understood as having been uttered by Jesus at a much time aftar he had reached maturity and been actually entrusted with his prophetic mission [2] .

وترجمة ما قاله هي :

(بما أنه لا يمكن تصور نزول الوحي على شخص وتكليفه بالنبوة قبل
بلوغه الكامل مرحلة الرشد والإدراك ... ؛ لذلك فإن هذا المقطع من
الآيات (30 33) من الممكن فهمه على أنه كان حديثاً وكلاماً من
عيسى (عليه الصلاة والسلام) في وقت متأخر من حياته بعد
بلوغه وتكليفه الفعلي بمهمة النبوة) .

ج - ينكر محمد أسد (رحمه الله) مبدأ النسخ في كتاب الله (عز وجل) ، ويرى
أن هذا المبدأ مرفوض نهائياً في حق كتاب الله سبحانه ، وأننا لو قلنا بذلك ، فإننا
نعطي كتاب الله الكريم صبغة بشرية .

انظر إلى ما قاله عند تعليقه على الآية : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ
بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ... ﴾ [البقرة : 106]

بل إنه ذهب إلى القول بأننا لو ربطنا الآية بالتي قبلها لاتضح لنا أن الشيء
المقصود بالنسخ : هو ما قالته اليهود والنصارى في حق كتبهم المقدسة ، وأن معنى
هذه الآية لا يعني القرآن بذاته [3] .

المثال الثاني :

من الشطحات التي شطح بها عبد الله يوسف علي (رحمه الله تعليقه على)
الخضر حيث قال في تعليقه على الآية :

﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا ... ﴾ [الكهف : 65] .

He is a mysterious being [4]

وترجمة ذلك (أنه أي الخِضْر : شخصية غامضة) وقد بدا واضحاً في التعليق
شدة تأثر عبد الله يوسف علي بالأدب الإنجليزي فقد شبه الخضر بشخصية
أسطورية موجودة في الأدب والتاريخ اليوناني تعرف باسم Melchizedeck .

أما لقمان فقد شبهه عبد الله يوسف علي في تعليقه بشخصية يونانية تعرف باسم

.Aesop [5]
أما محمد أسد (رحمه الله) فله رأي أشد خطراً من ذلك : حيث يرى أن
الشخصيات المذكورة في القرآن كالخضر ، ولقمان ، وذي القرنين هي شخصيات
أسطورية خرافية ، وليست واقعية حقيقية ؛ فهو يصفهم بأنهم (Figures Mythical)[6] وهذه تعني (شخصيات أسطورية) .

المثال الثالث :

في الحلقة الثالثة من هذه السلسلة ذكرنا أن محمد ظفر خان صاحب فكر
ومعتقد قادياني ؛ لذلك يتوقع منه ومن أمثاله أن يحاولوا نشر فكرهم ، وبث معتقدهم
داخل ترجماتهم ، وكما هو معلوم لدى القارئ العزيز أن من أصول الفكر القادياني :
الاعتقاد بأن غلام أحمد مرزا هو آخر الأنبياء بعد نبينا محمد -صلى الله عليه
وسلم- ؛ لذلك فقد حاول محمد ظفر خان التلاعب بالآيات في ترجمته حتى تخدم
فكرته القاديانية ، وكمثال على ذلك فقد ترجم الآيات :

 هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (2) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا
بِهِمْ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (3) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ
[الجمعة : 2-4] .

He it is Who has raised among the unlettered people, and will raise among others from tem who have not yet joined them, a Messenger from among themselves who recites unto them His sings, and purifies tem [7]

وهنا يتضح أن محمد ظفر خان قد دمج الآيتين 3 ، 4 معاً بطريقة خبيثة حتى
تخدم فكره ومعتقده ، وترجمته لهذه الآيات يمكن أن تترجم إلى العربية كما يلي :
(هو الذي بعث في الأميين ، وسيبعث في آخرين لما يلحقوا بهم رسولاً من
أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويطهرهم ....)
وتجدر الإشارة هنا إلى أن العطف في وآخرين منهم يعود على الأميين
كما قال ذلك الزمخشري : (وآخرين) مجرور عُطِفَ على الأميين ، يعني أنه :

بعثه في الأميين الذين على عهده وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد ،
وسيلحقون بهم ؛ وهم الذين بعد الصحابة (رضي الله عنهم) [8] . وقال مجاهد
وغيره : ﴿ وآخرين منهم ... ﴾ هم الأعاجم وكل من صدق النبي -صلى الله عليه
وسلم- من غير العرب ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : كنا جلوس عند
النبي -صلى الله عليه وسلم- فأنزلت عليه ﴿ وآخرين منهم ... ﴾ قالوا : من هم
يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً ، وفينا سلمان الفارسي فوضع النبي -
صلى الله عليه وسلم- يده على سلمان ، ثم قال : (لو كان الإيمان عند الثريا لناله
رجال أو رجل من هؤلاء) رواه مسلم والترمذي والنسائي [9] .
ومن هنا يتضح خطأ محمد ظفر خان الذي عطف (وآخرين) على (بعث) .

المثال الرابع :

تعتبر ترجمة الإنجليزي آربري من الترجمات الجيدة نوعاً ما ، إلا أنها لم
تخل كذلك من سموم في داخلها لتضليل الناس عن طريق الصواب . انظر إليه وهو
يترجم الآية :
﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف : 157] .
Those who follow the Messenger, the prophet of the common folk [10]
وهذه الترجمة من آربري يمكن ترجمتها بالعربية إلى : (الذين يتبعون الرسول
نبي العوام (العامة) ﴾ .
وفي هذه الترجمة ما فيها من تحريف وتغيير للمعنى الأساس في الآية . وفيها
ما فيها من تلاعب بالألفاظ والكلمات ، وإلا فإن الفرق كبير بين (النبي الأمي) و
(نبي العوام (العامة) ﴾ .
كما أن داود قد سلك مسلكاً مشابهاً في التحريف والتغيير لما فعله آربري
فيترجم داود الآية :
﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ [البقرة : 191] . إلى :
Idolatery is worse than carnage [11]
وهذه الترجمة تعني : (الوثنية أسوأ من المذبحة) .

ثانياً : نماذج من الأخطاء الفنية :

المقصود بالأخطاء الفنية هي تلك الأخطاء التي خرج بها المترجم عن قواعد
وأصول فَن الترجمة ، وأطلق لنفسه العنان أن يتصرف كيفما شاء دون مراعاة
لضوابط وقواعد علم الترجمة . والأمثلة الآتية هي نقطة من بحر تلك الأخطاء
الفنية التي ملأت صفحات الترجمات :
[(1)] أخطأ محمد ظفر خان كثيراً في ترجمته للآيات التي فيها قسم من الله
(عز وجل) ، فهو يستخدم الصيغتين التاليتين للدلالة على القسم :
We cite in evidence... .
We call to witness .... [12]
وهاتان الصيغتان تبعدان كل البعد عن الدلالة على معنى القسم .
(2) من المسلمات الأساسية في فن الترجمة : أن المترجم الناجح عليه أن
يسير على وتيرة واحدة في ترجمته ، فإذا ترجم الكلمة في موضع ما إلى مرادف لها
في اللغة المقابلة ، عليه أن يستخدم المرادف نفسه إذا جاءت الكلمة نفسها في موضع
آخر . إلا أن أغلب المترجمين لم يراعوا ذلك في ترجماتهم ، والأمثلة الآتية دليل
على ذلك :
أ - هناك ست سور في القرآن الكريم تبدأ بـ آلم وقد ترجمها عبد الله
يوسف علي إلى A . L . M (مع تحفظي الشديد على هذه الطريقة في ترجمة
المقطعات) إلا أنه لم يسلك نفس المسلك في بقية المقطعات وفواتح السور : فتجده
يترجم بعض المقطعات خلافاً لطريقته الأولى كالتالي :
المص :. Alif , Lam, Mim, Sad .
حم:. Ha, Mim .
كهيعص:. Kaf , Ha , ya, Ain, Sad .
ب - الآية : .. ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا ... .
تكررت في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم (سورة الأنعام 52 ، وسورة
الأعراف 37 ، وسورة هود 18) ، ومع ذلك فقد ترجمها عبد الله يوسف علي إلى
ثلاث صيغ مختلفة هي :
Who can be more wicked than one inventeth a lie against God.
Who is more unjust than inventeth a lie against God .

Who doth more wrong than inventeth a lie against God .
ج - كذلك وقع آربري في الخطأ نفسه ؛ وذلك بعدم استخدامه
لمرادف واحد
للكلمة نفسها ، ففي المثال التالي يترجم آربري كلمة (آية) إلى معنيين
مختلفين .
ففي قوله تعالى :
﴿ .. يتلوا عليكم آياتنا ... ﴾ [البقرة : 151] .
يترجمها آربري إلى :
To recite Our signs to you ... [13] .
ويترجم آربري الآية :
﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية .. ﴾ [النحل : 101] .
And when we exchange averse in the place of
another verse . [14]
وهنا على الرغم من أن كلمة (آية) و (آيات) لهما المعنى نفسه ،
إلا أن
المترجم ترجمهما إلى معنيين مختلفين .
(3) أخطأ آربري في تسميته لسورتي (المؤمنون) و (غافر) فقد
أعطى لكلا
السورتين الاسم نفسه بصيغة المفرد The Believer (سورة غافر
يسميها
بعض العلماء سورة المؤمن) . وترجمة آربري بهذه الطريقة تسبب خلطاً
وإشكالاً
لدى القارئ لمثل هذه الترجمة .
كما أن آربري وقع في خطأ كبير ؛ وذلك بتسميته سورة الروم في
ترجمته
باسم The Greeks . وهذه التسمية تعني الإغريق أو اليونانيين ، وهذا
خطأ
تاريخي فادح فضلاً عن تشويه المراد وتحريف المقصود بكلام رب العالمين
؛ وليت
الأمر اقتصر على خطأ التسمية فقط ، بل إن آربري ارتكب الخطأ نفسه
في ثنايا
السورة فهو يترجم الآية :
﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ [الروم : 2] . إلى :
The Greeks have benn vanquished. [15]
(4) من أصول الترجمة ألا يضيف المترجم من عنده شيئاً لم يكن
موجوداً
في الأصل ، إلا أن داود في ترجمته لم يتقيد بذلك إطلاقاً ، فهو كما ذكرنا
في الحلقة
الثالثة يطلق لنفسه العنان في إضافة وحذف ما يشاء ، كما في ترجمته
للآية :
﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ
سَوِياً ﴾

[مريم : 10] .

your sign is that of. Three days and three nights, He replied you shall be bereft of speech [16].

وهنا أضاف داود كلمة (ثلاثة أيام) وهي لم تكن موجودة في الأصل .

خاتماً : -أود التنبه لعدة أمور :

1- من الأخطاء التي يقع فيها كثير من الإخوة عندما يلقي خطاباً أو محاضرة
أو خطبة بلغة غير العربية ، ويريد ذلك المتحدث الاستشهاد بشيء من القرآن الكريم ، تجده يقول : إن الله (سبحانه وتعالى) قال في كتابه العزيز ، ثم يقرأ الترجمة التي
عنده ، ومكمن الخطأ هو أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل كتابه بلسان عربي مبين ،
لذا فإنه بإمكان المتحدث في مثل هذه الحالة أن يشير إلى أن الذي بين يديه هو
ترجمة لمعنى ما قاله الله (سبحانه) ، وليس هو نص ما قاله .

2- عندما يطلب أحد منك أيها القارئ العزيز ترجمة لمعاني القرآن الكريم
عليك أن تحرص على اختيار أفضل الترجمات وسؤال أهـل الاختصاص عن ذلك ؛ وذلك حتى لاتوقع من طلب منك في متاهة وضلال ، وتكون أنت السبب في ذلك .

3- ضرورة التنبيه على ما في الترجمات من انحرافات وشطحات والتحذير
من ذلك . وإيضاح الصواب والحق للناس أجمعين .

والآن لعلك أيها القاريء العزيز أدركت مدى أهمية هذا الموضوع وهذه
القضية ولعلك أدركت أنه لابد من تضافر الجهود وتآزر الهمم ؛ وذلك للوقوف أمام
هذا الطوفان الجارف الذي يمس أنفس كتاب عرفته الخليقة . ولعلك كذلك أدركت
مدى الحاجة إلى إنشاء هيئة إسلامية عالمية تتولى شؤون ترجمة معاني القرآن
الكريم إلى لغات العالم .

---

(1) ترجمة محمد أسد طبعة 1981م ص 495 .
(2) ترجمة محمد أسد طبعة 1981 ، 460 .
(3) ترجمة محمد أسد ، طبعة 1981م ، 23 .
(4) ترجمة عبد الله يوسف علي ، طبعة دار الفكر ، ص 748 .
(5) ترجمة عبد الله يوسف علي ، طبعة دار الفكر ، ص 1082 .
(6) ترجمة محمد أسد ، طبعة 1981م ، ص 628 ، 452 ، 453 .
(7) ترجمة محمد ظفر خان ، طبعة 1991م ، ص 562 .
(8) الزمخشري الكشاف ، ج 4 ، ص 367 .
(9) محمد نسيب الرفاعي تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ج 4 ، ص361 .
(10) ترجمة آربري ، طبعة 1991 ، ص 161 .

(11) ترجمة داود ، طبعة 1990م ، ص 29 .
(12) ترجمة محمد ظفر خان ، طبعة 1991م ، ص 624 ، 916 .
(13) ترجمة آربري ، طبعة 1991م ، ص 19 .
(14) ترجمة آربري ، طبعة 1991م ، ص 270 .
(15) ترجمة آربري ، طبعة 1991م ، ص 411 .
(16) ترجمة داود ، طبعة 1990م ، ص 214 .

خواطر في الدعوة

الثقة بالنفس

محمد العبدة

إن من أخطر الأشياء على الإنسان أن يفقد الثقة بنفسه ، فلا يرى أنه أهل
للقيام بالأعمال الكبيرة ، أو أن عنده القدرة على التغيير ، وبعض الناس قد يسير
خطوات صحيحة وقوية ، ثم يتوقف فلا يتابع الطريق ، خوفاً من النتائج أو خوفاً
من المستقبل ، فهو يشعر أنه حُمّل أكثر مما يقدر على حمله ، ويرى الطريق شاقاً
فينكص للوراء عائداً إلى موقعه الأول ، آمناً في سربه ، وفي الغالب ، فإن هذا
الخوف وهم من الأوهام وليس حقيقة ، كما قال الشاعر :

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتي وما الأمن إلا مارآه الفتى أمنا

ومثل هذا إذا واجه صعوبات أو مشكلات فإنه يواجهها بعزيمة مسترخية وهمة
مستخذية ، بل هو أقرب إلى أن يقول : ﴿ إن بيوتنا عورة ﴾ وقد قص علينا القرآن
قصة يوسف (عليه الصلاة والسلام) ، وكان بإمكانه أن يستريح بعد السجن من
العناء ، ولكنه قال : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض ﴾ ؛ لأنه يريد أن يقدم خدمة
للدعوة .

وهذه الحالة كما أنها تعتري الفرد ، فإنها تعتري الهيئات أيضاً ففي حديثه عن
جمعية علماء المسلمين في الجزائر ، قال المفكر الجزائري مالك بن نبي : لقد
وصلوا إلى القمة عام 1936م ، ولكنهم كانوا كمن ينظر في هذه القمة إلى أسفل
الوادي ؛ فأصابهم (الدوار) ؛ ووقعوا في الفخ الذي نصبه لهم أهل السياسة عندما
شاركوهم في الانتخابات والمفاوضات . إنهم كما قيل ينهزمون وهم في قمة النصر!.

إن من أكبر أسباب هذا الخوف التربية التي يتلقاها الإنسان في طفولته
ونشأته ؛ تربية أدخلت في روعه القبول بالقليل والبعد عن الأخطاء ، وحب الاطمئنان ،
تربية لم تعلمه المغامرة المدروسة أو اقتحام الأهوال ، وأدخلت في روعه أنه رجل
(النصف (فهو نصف متعلم ، ونصف متحضر ونصف (حامل رسالة (وهو دائماً

معلّق ، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، قد تكون هذه التربية من والديه ، أو من
المدرسة ، وبشكل عام فهي من البيئة التي غذته بهذا الشعور ، ولم يتلق أبداً تربية تضع
أمامه (المثال (والقدوة والنظر إلى زعماء التجديد والإصلاح ، وأن أعظم مهمة يقوم
بها المسلم هي دعوة الخلق إلى الله ، وإرجاع المجتمع إلى حظيرة الإسلام ، ولا
أعتقد أنه من السهل إصلاح مثل هؤلاء (المترددين (فالأمل فيهم ضعيف ، لأن
المهام العظيمة تحتاج إلى رجال (الفطرة (وليس إلى رجال (القلة) (والذي اعتاد أن
يشعر في مضمار العمل بالخوف والتهيب ، والذي يصعب عليه جداً الإقدام على
أمر عظيم ، ذاك إنسان قد تعود أسوأ العادات ، وقيد بأردأ القيود التي تحول بينه
وبين الاستفادة مما وهبه الله من قوى وطاقات) [1] .

(1) د محمد أمين المصري : المسؤولية ص 30 .

دراسات نقدية

المخاض .. وأنة شوق
قراءة في نصيين شعريين

بقلم : د .حسين علي محمد

قبل أن أبدأ في قراءة العددين (93) و (94) من مجلة (البيان) الزاهرة ، عن
شهري جمادى الأولى ، وجمادى الآخرة 1416هـ أحيى القائمين على أمر المجلة
وملفها الأدبي وأدعو لهم بالصمود والاستمرار على ثغر من ثغور الإسلام ، لينشروا
لنا الإبداع الأدبي (النظيف) الذي لايسمم آبار الوجدان ، بل يرقى بالنفس ويدفعها
إلى التسامى عن أوضار كثيرة ينشرها في الناس أدب يناهض وجدان الأمة ويقف
بالنشء على شفا هاوية لامنجاة منها إلا بالاعتصام بالله ، ثم نشر الإبداع الإسلامي
الجاد رؤية وأداءً .

بعد هذه المقدمة أقول إنني سأكتفي بالوقوف أمام نصين هما : (المخاض)
للشاعر تركي المالكي ، و (أنّة شوق) للشاعر محمد إدريس ؛ لأن الوقفة قد تطول
مع النصين ، فلا تتسع صفحات (الملحق الأدبي) للتناول النقدي لمواد (البيان) .
ونشير هنا بالتقدير إلى دراسة الأستاذ محمد حسن بريغش عن (نجيب الكيلاني)
رائد القصة الإسلامية المعاصرة) التي استمتعت بقراءتها ، و (قراءة الدكتور حسن
بن فهد الهويمل ، وما أشد حاجة الساحة النقدية للأدب الإسلامي إلى نقد الأستاذين
الفاضلين ، فبارك الله في جهدهما ، وفي جهادهما في هذا المجال .

المخاض : لتركي المالكي :

(المخاض) هو وجع الولادة ، وهو الطلق المبشّر بالميلاد . وهل هو ميلاد
جديد ، أم ميلاد مثخن بالجراح ؟ يقول تركي المالكي في مطلع نصّه :

أَمُورُ على نطع الأسئلةْ [1]

من البداية نرى أننا أمام شاعر تعذبه أسئلته وأطروحاته ، ونعرف أنه يتعذب
من استخدامه لكلمتي (أَمِوُر) و (نطع) ففي (المنجد) : (مار يمور موراً البحر : إذا

ماج واضطرب ، و مارَ الدم على الأرض : جرى فتردّد عرضا ، ومار الشيء :
تحرك كثيراً وبسرعة من جهة إلى أخرى ، ومن هذه إلى تلك كالسهم إذا انتشب في
الشجرة) [2] و (النطع) جمع أنطاع ونطوع : بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم
عليه بالعذاب أو بقطع الرأس) [3] .

فما الذي يجعل شاعرنا يتعذب ، ويضطرب ؟ هل هي أسئلته التي يشير إليها ، أو بتعبير آخر (خطابه الشعري) أو أطروحاته المغايرة للسائد ؟

لو رجعنا إلى بعض مانشره في (البيان) من قَبْل (فهو ليس له ديوان مطبوع
حتى الآن) لوجدنا بعضاً من طرحه الشعري المغاير ؛ فقد نشر قبل خمسة وعشرين
شهراً قصيدة بعنوان (نجمة الاعتصام) نرى فيها شاعراً غاضباً ، يستعير قناع
(حكيم القبيلة) أو (حادي القافلة) ويسخر من المشهد المحيط بنا [4]، إنه يرى مشهد
قومه فيتأمله :

رَقَص الحبْلُ بالراقصين
بعد دبكتهمْ نصَف قرنٍ علَيهْ
فانهمرْ ياسَلاَم
(عارضٌ ممطرٌ)
وانتثر ياشَرَرْ
ياسعادتهم بالمطرْ [5]

لاتتعجب ، فهذا الذي يرقصون عليه ليس سُلّما ! وإنما هو (حَبْل) الحبل
مراوغ ، والسلم أكثر ثباتاً منه ! وهذا (السلام) الذي سينهمر كالمطر ، هو في رؤية
شاعرنا (سلام مراوغ) كرقصة (الدبْكة) فوق الحبال ! هو لو يعلمون شرر لنيران
تتأجج ، وستحرق ولن تبقي ولن تَذَرْ .

ولاينسى الشاعر أنه سليل الفاتحين العظام الذين ينتمون للطهر ، والورود ،
والجمر ، وشمس النهار ، وأفق الحياة ، فيزرع فينا الأمل ويبعد عنا اليأس :

.. إني أرى رغم هذا الظلام !
في عروقي دَمَ الفاتحينْ
يتدفقّ بالطهر كالورد ، كالجمرِ ..
يَسْقي جذوعَ الكَلِمْ !
هو مابينها يضطرمْ !
وهي تمنحه نبضها
وتُهمّشُ فيه العدمْ

ثم تزرعُ من لونه الأرجوانيّ شمسَ النهارِ
وأفْقَ الحياة وشوقَ القممْ [6]
ويجأر إلى الله في نهاية القصيدة أن يرزقه الشهادة ، وأن يكون لظى تحرق
تاريخ فاقدي الوعي ، المُدَجّنين ، الذين يمدون يد الصداقة نحو ذابحيهم [7] .
وفي النص الجديد (المخاض) نرى امتداداً لنص (نجمة الاعتصام) وكأنه
إكمال شعري له ، إنه (يمور على نطع الأسئلة ، يعذبه خطابه الشعري المخالف
للسائد . فهل توردِه أسئلتُه موارد التهلكة ؟ !
إنه لايتوقف أمام مايتهدده من عذاب ، وإنما يكسر الصمت ومَنْ أسدله . من
(الكسر) نعرف عمق رغبته في التخطي والتجاوز ، ومن (أسدله) نكتشف كيف كان
الصمت كاسراً ، وكيف جرؤ النص على الكسر / لا التحطيم وها هو يحلم بـ
(أطايب الغيمة المثقلة) بالوعود الخضر ، وسماء الرؤى المقبلة .. ويرى أن دمه هو
الذي يفتح أول الطريق .
وكأن نهاية القصيدة هنا تُكمل نهاية قصيدة (نجمة الاعتصام) وتُثْريها ، فهو
هنا يقول :
ومن مهجتي أُوقد الشعرَ لَهْ
وأرقب دوري إلى المقصلةْ
ولكنّ جمرى الذي مَازَجَتْهُ المواجع ..
إذْ أسرجتْهُ (البصائرُ) ..
يوماً سيحصُدُ من كَبّلَهْ [8]
فقد تحدد الدرب أمام السالك ، وأصبح المأمول حقيقة . فقد كان مطلبه في
نهاية (نجمة الاعتصام) :
فيارب لاتجعل حياتي مهينةً ولاميتتي بين النساء النوائحِ
ولكن شهيداً تدرجُ الطيرُ حوله وتأكلُ غربانُ الفلا من جوانحي
ويارِبّ لاتجعلْ من القيد معصماً أَجُرّ به خزيي ! وتُطوى مطامحي !
ولكنْ لظىً يغلي ليدفنَ تحتهُ تواريخَ مَنْ مدّوا يداً نحوَ ذابحي [9]
لقد تَحددّ الطلب ، وأصبح المطلب الفردي رغبةً جماعية يُسرجها أهلُ
(البصائر) في هذا الظلام الدامس .
وهذه القصيدة (المخاض) أقرب إلى الرؤى الفكرية ، التي تمور بالفكر ، فهي

أقرب إلى الومضة الشعرية ، أو الدفقة الشعرية الحارة التي تخاطب العقل كما كان
يخاطبه الكلاسيكيون وشعراء مدرسة (الديوان) بينما كانت قصيدته (نجمة
الاعتصام) متوهجة بالشعر الوجداني الخالص ، الذي يكشف أغوار النفس ،
ويضيء زواياها المعتمة ، وقد أصاب الترهلُ والسقوطُ (الواقِعَ) باليأس من الجهاد
(إنه في القصيدة رقص وليس جهاداً) فهم هرولوا نحو العدو .
وعلى أية حال ، فتجربة تركي المالكي من التجارب الثرية في الشعر
الإسلامي المعاصر ، وتحتاج إلى المتابعة والنقد .

أنّةُ شوق : لمحمد إدريس :

قصيدة محمد إدريس (أنّةُ شوق) تطلعنا على شاعر مكتمل الأدوات ، ينتظره
مستقبل في عالم الشعر ، ومن مطلع قصيدته التي تقع في تسعة أبيات نعرف أن
شاعرنا مجدد يخوض تجربة جديدة في العروض العربي :

ربما الصّمْتُ مناجاةُ غريبٍ وحبيبٍ لحبيبْ
أخرس البَيْنُ صداها ، فتوارتْ في الفؤاد [10]

فهذا النص يتخذ من (بحر الرمل) إطاراً موسيقياً ، لكنه يزيد تفعليةفمن
المعروف أن (بحر الرمل) ست تفعيلات .

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن ... فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

لكن شاعرنا هنا يزيد تفعيلة كاملة ، فيصير الوزن عنده :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

ويصيب التفعيلة الأخيرة في الضرب والقافية بعض التغيرات .

كأن تصير فَعِلاتُ ، أو فاعِلن ، أو فَعِلن . هذا معروف في موسيقي بحر
الرمل [11] لكن ما يؤخذ على شاعرنا محمد إدريس أن أعاريض [12] أبياته
لاتسير على وزن واحد فإذا أخذنا الأبيات الثلاثة نموذجاً وهي تقول :

ربما الصمتُ مناجاة حبيبٍ لحبـيـبْ
أخرس البَينُ صداها، فتوارتْ فيالفؤاد
رُبّما الشوقُ جراحات تنزّى فيالحنايا
أوهتِ الروح ، فراحتْ تَتَلظّى في البعاد
لا تلمنـي ياخلي البـال تلهو سادراً
إن بدت منيدموع ، وشرود في ازدياد

فأعاريض الأبيات الثلاثة تأتي على أوزان (فَعِلانْ فاعلاتن فاعلن (أما أضْرُبُهُ
فتسير على وزن (فاعلاتن) (ولا أدري لماذا لم يكسر الدال ، فكل القصيدة تنتهي
بالدال المكسورة)

وهذه القصيدة تجربة تجديدية جيدة تحسب للشاعر ، وترينا أن إمكانات
الموسيقى في الشعر العربي وافرة ، وهي تنتظر من يكتشفها من خلال تجاربه
الشعورية والوجدانية ليُثري بها ديوان الشعر العربي .

والله من وراء القصد .

---

(1) تركي المالكي : المخاض ، مجلة (البيان) العدد (94) ، جمادى الآخرة 1416هـ ، ص 59 .
(2) المنجد ، ط 33 ، دار المشرق ، بيروت 1992 ، ص 779 .
(3) السابق ، ص 816 .
(4) السخرية نادرة في الشعرالعربي ، فهل يقبض تركي على هذه الجمرة ؟ وهل يتحمل القبض على الجمرتين : الشعر ، والسخرية معا ؟ .
(5) تركي المالكي : نجمة الاعتصام ، مجلة (البيان) العدد (69) جمادى الأولى 1414هـ ، ص 38 .
(6) السابق ، ص 41 .
(7) لنا دراسة نتناول فيها (نجمة الاعتصام) لما تنشر بعد .
(8) تركي المالكي : المخاض ، مصدر سابق ، ص 59 .
(9) تركي المالكي : نجمة الاعتصام ، مصدر سابق .
(10) محمد إدريس : أنّة شوق ، مجلة (البيان) العدد (93) جمادى الأولى 1416هـ ، ص 58 .
(11) انظر مثلا كتاب د محمد علي الهاشمي : (العروض الواضح وعلم القافية) ط1 ، دار العلم دمشق 2 ! 14هـ 1991 ، ص 89فما بعدها .
(12) العروض : آخر تفعيلة من الصدر .

نص شعري

الطريق إلى روما

شعر : طاهر محمد العتباني

دمي يتسرّبُ في الأرضِ ..
يُعْلِن عشق الورودْ
وزينبُ تعرفني حين يهطل هذا الدمُ ...
المستهام الفريدْ
دمي يتسرّبُ في الأرض ...
يغذو عناقيدها ، ويزفّ القصيدْ
(وزينبُ) تبصرني
حين مرّ الشهيدُ على جَفْنها ...
في صلاة التهجّد عندالسّجودْ
دمي يتسرّب في الأرضِ ...
يكتب بعض الحروف التي ...
سوف يطلع مِنها الربيع الوليدْ
وزينبُ تهتفُ بي أنْ : تقدّمْ
دِماؤك عنقودُ ضَوْءٍ ...
وذكرى صلاةٍ ، وخفقُ سجودْ
دماؤكَ ...
لايعرف الخانعونَ بأن الذي ...
أهْرقوهُ سيطلع من كل صوبٍ ... ،
ويزهِرُ في كل عيدْ
دماؤكَ ...
لايعرف الميّتون بأن الحياة ..
التي غرسوا حينما قتلوكَ ! ..
ستقتلهمْ
وترصّ الأزاهِرَ من فوقِ شاهدةِ القبْرِ ..
قبْركَ هذا الذي فيه نَفْحةُ مِسْكٍ ... ،
وريَّا شَهيدْ !
وزينبُ تهتفُ بي أن : هلمّ ... ،
على ساحةِ النور للحق خطوٌ ...
وللفَجْرِ أنشودةٌ تُستعادْ ! ..
وأنت الذي سيعيدْ
وأنت الذي سيعيدُ إلى الأرض فَرحتها
حينما يلتقي ذا الشجى بالشجى
والغريبُ المصفّدُ في قيدهِ ...
بانفساحِ الوجودْ !
جناحاكَ طِرْ بهما حيث شئتَ ...
ورَفْرِفْ كماشئتَ ...
ها أنتَ حُرٌ وهاهم عبيدْ ! !
وزينبُ تهتف بي : إن روما التي عشقتْكْ

تظلّ على لهف الانتظارِ ...
فتطفِرُ في مقلتيْها الدموعُ ..
ويصْهَلُ في وجْنتيها النشيدْ !
وروما التي عَشِقَتْكْ ...
ترفْرِفُ في شفتيْها النبوءَةُ ...
تعرفَ أنّك فارسُها المُرْتَجى ،
وفتاها المجيدْ
وروما التي عشِقَتْكْ ...
على صَدْرِها ... يتوهّجُ عِطْرٌ ...
أعدّتهُ من زَمنٍ ، خبّأتْهُ بصندوقها
للحبيب الوحيْدً !

(*) ننشر هنا مقطعاً من قصيدة طويلة بهذا العنوان ، منع من نشرها كاملة ضيقُ المساحة ، والرغبةُ في إتاحة الفرصة لأكثر من نص شعري ، مع اعتذارنا للشاعر الكريم ، وتمنياتنا لنصوصه الجميلة أن يجمعها ديوانه المنتظر
- التحرير الأدبي - .

قصة قصيرة

خيوط الفجر

محمد علي البدوي

جسر قديم ممتد بين (جوارزدي) و (سربنيتشا) ، أعمدة إنارة تحتضر على
جانبي الجسر ، الشفق يؤذن باقتراب الليل ، والليل يبدأ الزحف الصامت على
الكون ، والسماء تلبس ثوب الحداد ، نهر صغير يجري تحت الجسر ، رائحة
الجثث الملقاة في النهر تزكم الأنوف ، وقع أقدام مترهلة ، شبح قادم ،
أنفاس متتابعة ، كان رجلٌ شاحب الوجه ، رث الثياب ، حافي القدمين ، قادماً من أتون الحرب
المستعرة ، وكان يتمتم :

اللعنة عليهم .. قتلة .. كلاب شوارع ضالة .

وتوقف أخيراً ، وهدأت أنفاسه المضطربة ، كان (محمد لاتيش) يلقي النظرة
الأخيرة على أنقاض قريته التي تحتضر بعد أن اجتاحتها علوج الصرب ، يعانق
بناظريه أطلال القرية المنكوبة ، الدموع تنهمر من عينيه بغزارة ، وقد تسمر على
ذلك الجسر المتهالك يسترجع شريط ذكرياته المرة .

القرية الصغيرة الوادعة القابعة خلف التلال البعيدة ، الطرق الضيقة ، الأبنية
المتلاصقة القابعة خلف التلال الخضراء والمروج الغنية بالعشب الجبلي ، الرجال
في الحقول ، والنساء في البيوت و (محمد لاتيش) إمام المسجد ، الشاب المحبوب
الذي عاد مؤخراً من الأزهر ، وعين إماماً لمسجد القرية ، الجميع هنا يحترمونه
ويقدرونه فهو الشيخ (لاتيش) مدرس القرآن في المدرسة الوحيدة في القرية ، وشيخ
حلقات القرآن في المسجد ، وهو أب لطفله الصغير (علي) وقد أسماه تيمّناً باسم
رئيس الجمهورية ، فالجميع هنا يحب الرئيس ، ويلقبونه بالشيخ ، ويدينون له
بالولاء والطاعة .. سحب السعادة تعبر سماء القرية ، والشمس الساطعة تمنحهم
دفء الأخوة ..

الدموع تنهمر من عينيه بغزارة ، وهو يتقدم على الجسر خطوات ، والليل

يشق سواده ، وأصوات هدير الرصاص ، ودويّ المدافع يشق صمت المكان ،
والذكريات المرة تتجمع في ذاكرته ، والأفكار تنداح في مخيلته ، كما ينداح حجر
الرحى ، وهو يحدق في بقايا القرية ، يستعيد الذكريات :
(سماء القرية ملبدة بالغيوم ، حبلى بالقلق والمجهول ، ريح عاتية تنذر
بالعاصفة القادمة ، والأخبار تفيد : أن العاصمة (سراييفو (محاصرة ، فالحرب التي
بدأت منذ شهور ، أصبحت حديث القرية ، و (محمد لاتيش) يدعو الناس إلى
التماسك وتوحيد الجهود ، ويدعوهم إلى الجهاد والدفاع عن البلاد ، ويرغبهم في
الموت من أجل الله ، وهو يشرف على حملات التطوع ، ويقيم مراكز التدريب ،
ويردد آيات الأنفال .. وفي ذات يوم ! ! وقبل غروب الشمس ، خلف الجبال
الصامتة ، وعندما كان الناس في طريق العودة إلى منازلهم ، بدأت هدايا الصرب
تنهال على القرية من كل مكان ، والمدافع تنفث سمها الملتهب على الجميع ،
فالصرب قد هاجموا القرية ، وبدأت الأشلاء تتناثر ، وسالت الدماء تروي أرض
القرية ، وتنبت شجرة الكرامة ، والرجال يقاومون وقوافل الشهداء تسير ، ولكن
الطوفان كان قوياً فاجتاح القرية ..
رياح خفيفة تحرك الجسر ، وصور المأساة لم تفارق ذاكرته بعد .. زوجته
وابنه عندما انهدم عليهما البيت .. أطفال القرية وهم يستنجدون .. الرجال وهم
صرعى مجندلون على ثرى القرية ، كل ذلك كان (لاتيش) يشاهده من تحت أنقاض
المسجد بعد أن انهدم عليه وهو يخطب في القوم ويحدوهم إلى الله ، وظن الجميع أن
(لاتيش) قد مات ..
أصوات أهالي القرية لاتزال عالقةً بذاكرته ، وهو يغادر الجسر ، والليل يشتد
سواده ، والفجر ينسج خيوطه على الكون (ولا تيش) يرقب طلوع الفجر باهتمام ،
وابتسامة ترتسم على ثغره برغم فصول المأساة ، وبزغ الفجر أخيراً ، كان (محمد

لاتيش) قد توارى بعيداً ولم يزل صوته مسموعاً ، وصداه يملأ المكان :

صبراً (سراييفوا) إن بعد الليل فجراً
صبراً (سراييفوا) إن بعد العسر يسراً

نص شعري

الحضارة الظالمة

شعر : عبد الرزاق بن حمود الزهراني

فتنٌ تمضي وتأتي فتنُ والبرايا مزّقتها المحنُ
وحديث الإفك ما أعظمهُ ! ماتت الروح وتاه البدنُ
و (حماةُ الحق) ما أعجبهم يدّعون الصدق ! ! ما أكذبهم
يقتلون الطهر في مضجعه ويواررون به أدمعَهم !
يدعون العدل ما بين الأنامْ جثث القتلى من الظلم ركامْ
يدعمون الظلم بالليل وإنْ أشرق الصبح تنادوا للسلام ! !
هامت الأرواحُ في وادي العذاب نبتُهُ شوكٌ .. ونارٌ .. وحرابْ
وسعيد الحظ في عالمهم من بنى منزلَه تحت الترابْ ! !
يا حضارات الريا والكذبِ يا حضارات العنا والنّصبِ
يُقْتَلُ الأحرارُ فيها غيلةً عجبي من ظلمها واعجبي .. ! !
إيه يا قنديلُ أضنتك الرياحْ وحمانا للبرايا مستباحْ
وإذا هم بقولٍ منصفٌ ماجت الأرضُ صياحاً .. ونباحْ ! !
أنجب التاريخُ عصراً أحمقا شرّه منتشرٌ ... لا يُتقى
قُتل الإنسانُ في أحشائه وسَما الشيطان فيه وارتقى
ليس لليأس إلى قلبي سبيلْ وأرى الكون وإن ضلّ جميلْ
وأرى الناس على أحقادهم يطلبون العدلَ للظلمِ بديلْ
أملي في الله رب العالمين خالق الإنسان من ماءٍ وطينْ
أن نرى الإسلام في فتح جديد يغمر العالم نوراً ويقينْ ..

المسلمون والعالم

اتفاق دايتون

أي سلم هذا الذي ينشدونه ؟

عبد الله عمر سلطان

بينما غطت احتفالات اتفاق دايتون الأفق ، كانت الولايات المتحدة ترسل
رسالة واضحة إلى العالم عن طبيعة هذاالاتفاق وظروف ولادته ... لقد اصطفت
طاولات العشاء الذي أُجري في مرآب للطائرات في قاعدة دايتون الجوية ، وكان
على الضيوف أن يحتفلوا في قارب حشرت فيه طائرات من نوع إف 15 ، وإف
16 وطائرات (الشبح) وغيرها من صواريخ جو/أرض ، وجو/جو في رسالة
واضحة لايمكن أن تفوت على لبيب .

لقد كان مضمون الاتفاق سيئاً بما فيه الكفاية ، وبالرغم من الضغط الأمريكي
القوي (على الجانب البوسني بالخصوص) وقرقعة السلاح وإغراء المساعدات ، فإن
المراقبين على شتى اتجاهاتهم لم يعتبروه أكثر من مجرد هدنة مؤقتة أو شريط
إعلاني لتلميع رئاسة كلنتون وتصويره على أنه صانع السلام .

جمهورية (سقط المتاع) :

مجلة النيوزويك الأمريكية اختارت هذا الاسم لجمهورية البوسنة (الورقية)
التي شهدت ولادتها في دايتون ، يقول المحلل البريطاني نويل مالكوم الذي سخر من
تعليق أحد أعضاء الوفد الأمريكي على الاتفاق بأنه ولّد أعظم وأعقد دستور في
العالم لدولة حديثة : (هل تظل هذه الدولة دولة فعلاً ؟ [ويضيف] سوف تتكون
البوسنة والهرسك من كيانين هما : جمهورية الصرب والاتحاد المسلم/الكرواتي ،
وسوف يكون لكل منهما حكومته وبرلمانه وشرطته وجيشه ، وسيكون كل منهما
مسؤولاً ضمن أراضيه عن القوانين المتعلقة بمسائل مثل : أجهزة الإعلام والتعليم ،
وسيكون لكل منهما الحق في إقامة (علاقات موازية) مع الدول المجاورة ، وسيكون
لكل منهما الحق في فرض الضرائب ، وسيتمتع كل من الكيانين بالسلطات المنوطة

بحكومات الدول الفعلية باستثناء قائمة قصيرة من المسائل التي أنيطت بالحكومة
المركزية .
حيث سيكون
هناك برلمان
بوسني ومجلس للوزراء ورئاسة من ثلاثة أشخاص
.
وإذا ما أزلنا المهام العملية العادية مثل إدارة الحركة الجوية من القائمة ، فلن
يتبقى سوى قائمة مختصرة جداً تحتوي على السياسة الخارجية والسياسة النقدية
والجمارك والهجرة ، فهل تكفي هذه السلطات في غياب كل السلطات الأخرى التي
تمارسها الدول الحقيقية للإبقاء على البوسنة حية ؟ !
ولكن المشكلات تذهب إلى أبعد من ذلك ؛ فعلى الرغم من أن المؤسسات
المركزية للدولة البوسنية قد تملك الحق وفق اتفاقية دايتون في معالجة هذه المسائل
القليلة ، إلا أنها قد تفتقر إلى القدرة على ذلك ؛ ولهذا السبب تم إدخال كثير من
العوائق والضمانات في هذه الآلية ، بحيث يسهل على أي فئة أن تجمد العملية
برمتها .
إذن لماذا حرصت أمريكا على تمرير الاتفاق والمخاطرة بحياة عشرين ألف
جندي أمريكي من أصحاب الدماء الزرقاء ؟ ؟
الجواب يتشكل من جزأين : جزء يتعلق بالنتائج السريعة المتمثلة في مصلحة
الإدارة الأمريكية لتصوير نفسها على أنها صاحبة السلام وصانعته لاسيما في عز
الموسم الانتخابي ، كما يؤكد على حقيقة الدورالأمريكي وأهميته في حل المشكلات
الدولية وأنها صاحبة الشأن في تسيير الملفات الساخنة في الوقت الذي تبدو فيه
أوروبا عملاقاً اقتصادياً وقزماً سياسياً ، ويتأكد ذلك حينما نتأمل الاتفاق ونخرج منه
بنتائج حاسمة ومنطقية تقول : إنه أقل إنصافاً للمسلمين من الحلول الأوروبية
السابقة التي طالما رفضتها أمريكا بحجة أنها تكافئ المعتدي وتظلم الضحية ! !
فاتفاق دايتون هو محصلة لخطط كارينجتون وأوين وإخوانهما من دهاقنة

السياسة الأوروبيين .
أما في الجانب الاستراتيجي فيأتي تدخل أوروبا لسببين مهمين : أحدهما
متوسط المدى ، ويتمثل في إنقاذ حلف الأطلنطي وبعث الحياة فيه لاسيما في
المواجهات المقبلة مع العدو الإسلامي ، كما صار واضحاً ... فالحلف يمثل التزاماً
بالأمن الجماعي أمام الأخطار الشرقية (الشيوعية سابقاً) أو الجنوبية (دول العالم
الإسلامي) فالحلف أثبت أنه الأداة المثلى للحفاظ على الأمن الأمريكي المرتبط
بالاستقرار في أوروبا ، كما اتضح خلال الحربين العالميتين ، ولاشك أن ضياع
هيبة الحلف يمثل ضياعاً لاستثمار أمني وسياسي عمره يزيد عن النصف قرن ..
أما العامل الثاني فهو استثمار القيادة الأمريكية للحلف على المدى البعيد ،
حيث إن أمريكا ترى في دولة يحكمها المسلمون في أوروبا ذريعة وفرصة لاستمرار
نفوذها في القارة القديمة من خلال الناتو ، في الوقت الذي تتوجس فيه أوروبا على
تناقضاتها القومية من احتمال نمو تيار إسلامي في البلقان ، يمكن أن يمتد لا عن
طريق الحرب هذه المرة ، وإنما ثقافياً وحضارياً إلى أوروبا الغربية ، المسيحية .
فالبوسنة حسب الاتفاق ، دولة علمانية أوروبية ديمقراطية غربية الطابع ،
والمسلمون فيها على الرغم من كونهم الأكثرية المطلقة 50% يملكون ولايحكمون .
فالاتفاق ينص على دستورية مبدأ الفيدرالية بين المسلمين والكروات في
نصف الجمهورية المحاذي لكرواتيا ! ! ! ومبدأ الكونفدرالية بين هؤلاء والصرب
في النصف الآخر من البلاد المحاذي لصربيا ، فأين هو الوجود الإسلامي في هذه
الدولة ؟ وأين هو حق الأكثرية المسلمة في النظام الديمقراطي ؟
أما العاصمة (سراييفو (فقد تركها الاتفاق موحدة إرضاءً للمسلمين ، ولكنه
بالفعل قسمها إلى تسعة قطاعات منسجمة قومياً ، كل قطاع له لغته الرسمية ،
ونطاقه التعليمي ، ومناسباته الخاصة ، حيث ينتخب سكان كل قطاع ممثليهم في

المجلس البلدي للمدينة ، الذي ينتخب بدوره عمدة للمدينة وثلاثة نواب له (مسلم
وكرواتي وصربي) ، ليرأس كل منهم المجلس لمدة سنة بالتناوب .
وإذا كان موضوع إبقاء سراييفو موحدة نزولاً عند رغبة المسلمين ، فأين هو
التأثير الإسلامي في العاصمة ذات الأكثرية المسلمة الساحقة ؟
واتفاق دايتون وإن أوقف حمامات الدم في البلقان لبضع سنوات أو أقل فإنه قد
أعاد البريق للزعامة الأمريكية وأعطاها نفوذاً متجدداً في القارة القديمة وحوض
المتوسط ، ولن يغير مؤتمر برشلونة لدول المتوسط من ذلك شيء مهما كانت درجة
نجاحه) .

مستقبل الاتفاق :

بين مستقبل الاتفاق يطل ماضي التطهير العرقي الذي تتضح صورته يوماً
بعد يوم ، ويظهر العالم عارياً من كل المشاعر الإنسانية حيث نرى تواطؤ القوى
الدولية مع الصرب والكروات في ارتكاب جرائمهم ... لقد أشعل المسؤولون
العسكريون لحلف الناتو بما فيهم رئيس الأركان الأمريكي الرأي العام بالحديث عن
خطورة (المجاهدين) في البوسنة وضرورة ترحيلهم بالرغم من عدم ثبوت ارتكابهم
لجريمة واحدة ، بينما يظل المجرمون الحقيقيون يمارسون أدوارهم القذرة بالرغم
من إدانتهم من قبل المحاكم والحكومات الغربية بارتكاب أبشع المجازر البشرية ..
والسؤال : هل كان التركيز على المجاهدين ستاراً لإخفاء العلاقة المشبوهة بين
عرابيّي دايتون وجزاري صربيا .. ؟
سؤال يحاول هذا التقرير الإجابة عليه ... (تقول مختلف الروايات التي
أوردتها وسائل الإعلام الدولية نقلاً عن شهادات (الخوذ الزرقاء) الهولنديين ، إن
(راتكو ملاديتش) (القائد العام لقوات صرب البوسنة) قد استدعى عشية 11 يوليو
1995 ، ضباط الفيلق الهولندي المكلفين بحماية سربرينتشا ، وذلك في قاعة أحد
الفنادق الواقع في محيط المدينة المحاصرة منذ أكثر من سنتين ، ووضعهم داخل

إحدى القاعات التي علق فيها خنزير من أرجله الخلفية ، وأمر أحد الجنود فذبحه
أمام الملأ ، فنفرت الدماء من رقبة الخنزير الذبيح في جميع الاتجاهات ، وهنا
استدار ملاديتش إلى (ضيوفه) المشدوهين من (حفاوة) هذا الاستقبال ، وقال لهم
بالحرف : (بهذه الطريقة سنعامل كل أولئك الذين سيضعون أنفسهم تحت حماية
جنود (الخوذات الزرقاء !) .

وراح (ملاديتش) يستكمل بسادية متوحشة في سربرينتشا ما بدأه في مقاطعات
بوسنية أخرى طيلة السنوات الثلاث الماضية من عمليات (تطهير عرقي) وديني
رهيبة ، أصاب فيها البشر والحجر ، ومس المقدسات وداس المحرمات ، لكن هذه
المرة بشكل شامل ، كبير المدى والاتساع ، لقد وضع بين يديه حياة مايفوق أربعين
ألف بوسني بالإضافة إلى ما قام به مجرمو الصرب من مذابح وما عمل من أخاديد
دفن فيها ألوف من المسلمين العزل .

إن المعلومات الاستخباراتية الأمريكية سربت هذه المعلومات وقت المحادثات
وهي تثبت التورط الحقيقي لذلك الجنرال الفاشي الصربي راتكو ملاديتش وزعيمه
السياسي رادوفان كاراديتش ، إنما كان بقصد الضغط غير المباشر على
زعيم بلغراد ، الذي لا يقل فاشية عن صنيعته ، أي سلوبودان
ميلوسيفتش ، وذلك حتى تلين
قناته في محادثات دايتون التي تمت تحت الرعاية الأمريكية ، ومن جهة أخرى يبدو
أن أمريكا كانت متخوفة من أن تتهم بإخفاء معلومات في قضية مذابح سربرينتشا ،
لاسيما وأن عملية (استجواب) ضباط الفيلق الهولندي العامل في سربرينتشا تحت
المظلة الأممية ، وهو الذي عاش أفراده مختلف الوقائع الفظيعة لعملية التصفية
العرقية التي مارسها الجنرال ملاديتش ، ستعلن على الملأ .

والتساؤل الذي بات يطرحه مختلف المهتمين بالقضية البوسنية اليوم ، هو :
لماذا تخلفت أمريكا في تقديم كل الوثائق المورطة لملاديتش وزبانيته كل هذه المدة ؟

الظاهر هو : أن واشنطن لم ترد أن تنفجر في وجهها قضية مذابح سربرينتشا

ضد المسلمين ، ومذابح كرايينا ضد السكان الصرب العزل ، في الوقت الذي تقوم
فيه برعاية محادثات سلام تعتبر مصيرية بالنسبة لمستقبل منطقة البلقان كلها :
ولذلك قامت إدارة البيت الأبيض بتفريغ جعبة المعلومات الخطيرة التي تمتلكها على
دفعات صغيرة ، وذلك لتخفيف الصدمة من جهة ، وحتى لاتعطي الكونغرس
الأمريكي مبرراً قوياً يدفع به إلى الموافقة على رفع حظر السلاح المضروب على
البوسنة وأطراف الصراع الأخرى في البلقان ، ومن جهة أخرى يعتقد أن تخلف
أمريكا عن الإعلان عما تملكه من وثائق بخصوص مذابح سربرينتشا ، كان مع
زعيم كرواتيا فرانيو توجمان لمشروع الهجوم الخاطف على إقليم كرايينا الكرواتي ،
ولهذا انتظرت أمريكا المدة الكافية حتى يتسنى لها ولحليفها توجمان تنفيذ ذلك
المخطط ، وبعدها أصبح بالإمكان تسليم وثائق إدانة قادة صرب البوسنة إلى محكمة
الجنايات الدولية . ومن جهة أخرى يبدو أن تسليم هذه الوثائق في هذا
الوقت بالذات ، إنما قصد به الضغط على سلوبودان ميلوسيفتش ، الزعيم الصربي المفاوض في
دايتون ، وذلك حتى يجبر على قبول أهم شروط مسودة السلام البلقانية تلك ، أي
منع قادة صرب البوسنة من تسلم أي مناصب سياسية في جمهورية البوسنة التي
شرع في وضع ملامحها الأولى في دايتون .

حسابات الغرب الباردة :

إن كل هذه المبررات لايمكن أن تقنع أي أحد ، وبالتالي فالتساؤلات ستبقى
حول مسؤولية العالم الغربي وأمريكا بالذات عن مذابح شرق البوسنة التي راح
ضحيتها عدة آلاف من المسلمين ، حيث تركت السفاح الرهيب ملاديتش وجنوده
يرتكبون المجازر ولم تتحرك لنجدتهم ، وذلك عن سوء قصد وطوية ، ومن أجل
حسابات استراتيجية وتكتيكية باتت اليوم واضحة وبينة ، لكن السؤال الذي سيبقى
معلقاً هو : لماذا لم تحاول تلك الدول الكبرى الضغط على بلغراد وقيادة صرب

البوسنة السياسية في باليه حتى يمكن إجلاء سكان منطقة سربرينتشا وجيب (جيبا)
المُسْلِمَين الموضُوعَين تحت الحماية الأممية ، والأخطر من كل هذا : لماذا تم
السكوت على تلك المجازر الرهيبة التي ذهب ضحيتها آلاف من مسلمي البوسنة ؟
.. هذا هو ما في الاتفاق .. وتلك هي القواعد التي بني عليها . أما المستقبل
فهو إفراز لهذا الماضي الكريه .. دعونا نستشهد بنوبل مالكوم مرة أخرى حيث
يقول : ونحن نتطلع إلى رجالات دولنا وهم يرتشفون أنخابهم في جلسة التوقيع على
المعاهدة في باريس يتعين علينا أن نسأل : أهذه هي الحصيلة التي يريدونها حقاً ؟
والجواب الصحيح عن ذلك هو : أجل .
وبقي هذا الهدف السياسي الرئيس ، وكانت المشكلة في كيفية تحقيقه مع
المحافظة على الالتزام العلني بصيانة وحدة الدولة البوسنية .
وجاء الحل في اتفاق دايتون : إطار يضمن من الناحية النظرية المحافظة على
البوسنة ، ولكنه يؤدي خطوة خطوة ، من الناحية العملية إلى تفكيكها . إنها دولة
جرى تصميمها لكي تدمر نفسها ، في تقسيم بالحركة البطيئة ، وهو أقصى ما
توصلت إليه النظرية التفكيكية في علم السياسة .
نعم ... إن البوسنة مقبلة على (حفلة دم مريعة طالما أن السادة في عواصم
رعاية التطهير العرقي ماضون في خطتهم الشريرة ، وطالما أن المسلمين مشتغلون
في إزالة أثار همجية المجاهدين ! وطالما إعلامهم يلاحق الجمعيات الخيرية ورجال
العطاء القلائل الذين يرفضون أن تتحول البوسنة ومسلموها إلى (خنازير) تذبح من
الوريد إلى الوريد .
وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ،

المسلمون والعالم

زيارة البابا المتكررة لإفريقيا .. لماذا ؟

بقلم : التحرير

إن طبيعة التنصير في إفريقيا مختلفة عن طبيعة التنصير في المناطق الأخرى

من العالم ؛ وذلك لأن هذه القارة وبخاصة جنوب الصحراء منها من وجهة نظر
الفاتيكان بمثابة مناطق خالصة للنصارى وحدهم ، انطلاقاً من عوامل سيطرتهم على
الحياة السياسية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية في كثير من البلدان هناك ؛
وذلك لقدرتهم على تغيير ما يرونه غير متفق مع مصالحهم ومتعارض مع سياساتهم ، ولاستطاعتهم وضع الخطط البديلة في الوقت المناسب ، وذلك ما دعاهم إلى
إطلاق شعار (تنصير إفريقيا عام ألفين) ، ورصد لهذا الشعار أموالاً قدرت بخمسة
مليارات تقريباً .

مهرجان الاستقبال :

في السابع عشر من شهر سبتمبر عام 1995م كانت الاستعدادات لاستقبال بابا
الفاتيكان قد اكتملت ، ومنها بناء منصة كبيرة في ساحة الاستقلال (إحدى الساحات
المشهورة في مدينة نيروبي عاصمة كينيا التي تعقد فيها الاجتماعات العامة
والمهرجانات الوطنية) ، كما تم تجهيز فريق صحفي يتكون من صحفيين ومراسلين
محليين ودوليين ؛ للقيام بالتغطية الشاملة لزيارة (بابا الفاتيكان (التي استغرقت ثلاثة
أيام ، وقد وعدت الحكومة بالحفاظ على أمن البابا وسلامته ، فانطلق الفريق الأمني
من قوات الشرطة وعناصر سلاح الطيران المقدر عددهم بستة عشر جندياً ليأخذوا
مواقعهم ، أما شرطة المرور فقد أغلقت جميع الشوارع المؤدية إلى ساحة الاستقلال ، ولم يسمح بمرور السيارات إلا السيارات الخاصة التابعة لموكب (البابا) التي
وضعت عليها إشارات خاصة .

وبدأ الشعب من أتباع الكنيسة الكاثوليكية ، وكذلك من المذاهب الأخرى
يتوافدون إلى العاصمة فرادى وجماعات ، وانتعشت الحركة الاقتصادية في نيروبي ؛ حيث امتلأت الفنادق والمطاعم ، وأقامت بعض شركات المواد الغذائية
والمرطبات مراكزَ لها في ساحة الاستقلال ، وقد قدرت تكاليف هذه الاستعدادات
بحوالي عشرين مليون شلن (حوالي نصف مليون دولار) من قبل السكرتارية
الكاثوليكية ، أما الحكومة فلا يعرف بالتحديد كم تكلفت ، وقد قدر عدد الحاضرين

في مراسم الطقوس الخاصة التي أقيمت في ساحة الاستقلال بحوالي مليون شخص
من أتباع الكنيسة الكاثوليكية وأتباع المذاهب الأخرى من البروتستانت والكنيسة
الإفريقية ، وكذلك من أتباع الديانة الهندوسية ؛ علماً بأن عدد أتباع الكنيسة
الكاثوليكية في كينيا يقدر بحوالي سبعة ملايين حسب مصادرهم .

وفي صباح يوم الاثنين 18/9/1995م كان الرئيس الكيني (دانيال أراب
موي) في مقدمة مستقبلي بابا الفاتيكان في مطار كينياتا الدولي ومعه مجموعة كبيرة
من الوزراء ونوابهم وأعضاء البرلمان ، وكذلك زعماء الأحزاب المعارضة ، وكبار
التجار ، ورجال الأعمال ، وسفراء الدول الأوروبية والإفريقية ، وكذلك بعض
سفراء الدول الإسلامية ، وأيضاً كان في استقباله كبار رجالات الدين الكاثوليك
والمذاهب الأخرى من كينيا وشرق إفريقيا ، وكانت الهيلوكبترات والطائرات
الحربية تحلق في سماء نيروبي مستعدة لاستقباله ، وكان الآلاف من الشعب
الكاثوليكي قد اصطفوا في الشارع من المطار إلى القصر الجمهوري ، وبقية الشعب
كان يتابع أحداث الاستقبال في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية ، حيث كانت
الأحداث تنقل على الهواء مباشرة وفي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر أعلن عن
هبوط طائرة البوينغ التابعة للخطوط الجوية لجنوب إفريقية القادمة من
جوهانسبرج ، حيث كان (البابا) قد أتم زيارته لجنوب إفريقيا التي استغرقت ثلاثة أيام ، ويذكر
أن هذه الزيارة هي الحادية عشرة من نوعها لإفريقيا ، والثالثة لكينيا .

أفرقة الكنيسة حتى لاتتلاشى النصرانية :

كانت الأولى في كينيا في مايو عام 1980م والثانية في أغسطس 1985م ،
وهذه الرحلة الأخيرة قد شملت ثلاث محطات من الدول الإفريقية وهي الكاميرون
في غرب القارة الإفريقية ، وجنوب إفريقيا في جنوبها ، ثم كينيا في شرق القارة .

وكان هدف هذه الرحلة المعلن في هذه المحطات هو إعلان مذكرة تعاليم

الكنيسة الجديدة الملائمة للعادات الإفريقية ، علماً أن هذه التعاليم الجديدة كانت قد
تمت المناقشة حولها في شهر إبريل من عام 1994م في روما بحضور مجموعة من
القساوسة الأفارقة من الدول الإفريقية الذين اقترحوا على البابا أن يعدل تعاليم
الكنيسة الكاثوليكية ، إن هو أراد أن يحافظ على أتباع هذه الطائفة ، ويكسب مزيداً
من الأتباع ، واقترحوا أن تكون هذه التعاليم الجديدة ملائمة ومناسبة للعادات
الإفريقية ! !

جاء (البابا) مرتدياً لباس إحدى القبائل الكينية كأول خطوة لإخضاع الكنيسة
للتقاليد الإفريقية ، وهذه أول خطة جديدة لجذب قلوب الأفارقة للنصرانية بعد ماتعذر
عليهم اعتناقها خوفاً من التجرد من تقاليدهم التي تأصلت فيهم .

بعد ذلك انطلق الموكب البابوي تحت الحراسة المشددة من المطار إلى القصر
الجمهوري ، حيث عقد مع الرئيس (موي) جلسة مغلقة لمدة نصف ساعة ، لاتعرف
تفاصيل مادار بينهما فيها ، بعدها وقع على دفتر كبار الزوار .

وفي المطار صافح (البابا) مستقبليه
من الوزراء والسفراء وبعض رجال الدين
، بعد أن رحب به الرئيس ، ثم ألقى كلمة شكر لمستقبليه وأعلن أنه قد جاء لمهمة
(بعث الرجاء) ! .

وفي صبيحة الثلاثاء 19/9/1995م كان يوم الميعاد قد بدأ ، فقد اجتمع في
ساحة الاستقلال حوالي مليون شخص ينتظرون قدوم البابا لأداء طقوس العبادة ،
وقد وصل الساحة حوالي الساعة التاسعة والنصف ، ثم في تمام العاشرة وصل
موكب القساوسة والأساقفة ، بعدها مباشرة بدأت طقوس العبادة رسمياً ، واستمرت
هذه الطقوس لمدة ثلاث ساعات ، ثم في الساعة الرابعة بعد الظهر تحركت الجموع
إلى ساحة البعث الواقعة خارج المدينة ، حيث وصل البابا هناك في الساعة
الخامسة ، حيث أعلن رسمياً عن مذكرة تعاليم الكنيسة الجديدة التي تتناسب مع العادات
الإفريقية تعرف هذه المذكرة بـ r ? وقد اشتملت هذه المذكرة على خمس نقاط
رئيسة :

1- تنصير القارة الإفريقية .
2- تعديل التعاليم المسيحية لتلائم العادات الإفريقية .
3- الحوار الديني مع بقية المذاهب والديانات الأخرى .
4- نشر العدل والأمن .
5- توظيف وسائل الإعلام لخدمة أغراض وأهداف التنصير
.
وصدق الله العظيم : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ
عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾
[البقرة : 79] .

إغراءات التنصير :

ثم ألقى بابا الفاتيكان كلمة تركزت حول المشكلات التي تعاني منها القارة
الإفريقية : من الحروب الأهلية ، والجهل ، والفقر ، والفساد في الأنظمة ،
وضرورة العمل الجاد للتخلص من هذه المشكلات .
وقد تلخصت نظرته لحل هذه المشكلات فيما يأتي :
1- ضرورة اعتناق القادة الأفارقة المسيحية الكاثوليكية ، لأنها الضمان من
الفساد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي .
2- يجب على الدول الأوروبية الغنية الدائنة أن تعيد جدولة ديونها ، وأن
تعفو عن مديونياتها .
3- يجب على الدول الصناعية أن تقلل من صفقات الأسلحة إلى دول إفريقيا ، وبدلاً منها تعمل على مساعدة الدول الإفريقية في النمو الصناعي .
ثم عقد البابا بعد ذلك لقاء مع القساوسة والأساقفة الذين حضروا من تنزانيا
وأوغندا وأثيوبيا وإرتريا والسودان وزامبيا وموريشيوش إضافة إلى أساقفة
وقساوسة كينيا وأوصاهم بضرورة التلاحم فيما بينهم والعمل الجاد لتنفيذ بنود
المذكرة ، كما اجتمع أيضاً مع زعماء الكنيسة الأنجيليكانية والكنيسة الإفريقية
المستقلة ، وكذلك مع زعماء الطائفة الهندوسية .
وقال البابا : لقد كان بودي أن أجتمع مع جميع زعماء المذاهب والديانات
الأخرى . ومما يذكر أن المسلمين قد قاطعوا زيارة البابا وأعلنوا أن حضورهم
لمراسم الطقوس أو مراسم إعلان المذكرة كان منافياً لمعتقداتهم ، من جهة أخرى

ذكر أحد المسلمين الذي نصب نفسه ناطقاً رسمياً باسم المسلمين ! ! أن المسلمين لم
يحضروا تلك المراسيم ؛ لأنهم لم يتلقوا دعوة رسمية بذلك ولو دعوا لأجابوا ! أما
رئيس القضاة فقد امتنع عن التعليق ! ولكنه قال : لايجوز لأحد أن يجعل نفسه
متحدثاً باسم المسلمين ، وأنه شخصياً لو دعى لأجاب !

ثم في صباح يوم الأربعاء 20/9/1995م انطلق البابا والوفد الكاثوليكي
المرافق له إلى المطار معلناً بذلك نهاية زيارته لكينيا التي استغرقت ثلاثة أيام ، وقد
ذهب لوداعه في المطار الرئيس (موي) ووزراؤه وأعضاء البرلمان ، وأعضاء
السلك الدبلوماسي ، كما شاركت الطائرات في حفلة وداعه ، وفي الساعة الحادية
عشرة صباحاً أقلعت طائرة الأيرباص التابعة للخطوط الجوية الكينية حاملة (البابا) ،
والوفد المرافق له متوجهة إلى روما ، وهكذا انتهت زيارة البابا إلى كينيا .

ومن المعروف أن كينيا تعتبر قلعة الفاتيكان في إفريقيا ، وأن روما تعقد
الآمال في أن تكون كينيا هي المنفذة لأحلام الفاتيكان في تنصير إفريقيا مع نهاية
القرن الحالي ؛ لذلك تهتم الدول الأوروبية وأمريكا بهذه الدولة أيما اهتمام ، ويقدمون
لها أنواعاً من المساعدات المادية والأدبية ، كما يهتم بها البابا شخصياً ؛ وذلك
بتخصيصه ثلاث زيارات من إحدى عشرة زيارة له لإفريقيا ، كما أن للفاتيكان
سفارة كاملة في كينيا للتنسيق في جهود التنصير ، وقد كثرت المنظمات التنصيرية
المحلية والدولية بشكل رهيب (تعد هذه المنظمات بالآلاف) ولها جهود في جميع
مناطق المسلمين وخاصة المناطق الفقيرة : يقدمون المساعدات الإنسانية ، ولهم
شبكة للتنسيق في أعمالهم تتمثل في مجلس الكنائس الوطني الكيني .

هل لهذه الزيارة من آثار ؟

ويتوقع من آثار هذه الزيارة أن تشدد الحكومة من قبضتها على المسلمين ؛
لأن البابا قد حذر الحكومة مما زعمه : خطر تنامي الأصولية الإسلامية التي تجد

الدعم من الدول الإسلامية .
وخلال أسبوع من مغادرة البابا أعلن عميد الشرطة الكينية بأن أي جندي من
قوته لايعرف المسيح فهو جندي فاشل ، وأنه لايريد العناصر الفاشلة في قوته ، ثم
أعلن وزير التربية رفضه تسجيل كليتي المعلمين وهما الكليتان الوحيدتان للمسلمين ، علماً أن المسيحيين يمتلكون 12 كلية للمعلمين وثلاث جامعات ، وهم الآن في
الاستعدادات لبناء جامعة جديدة ، وقد حضر الرئيس موي في 15 ديسمبر 1995م
حملة لجمع تبرعات لبناء هذه الجامعة الجديدة للمسيحيين .
والمسلمون الآن قلقون من تطورات الأحداث حيث أصبح انحياز الحكومة
الكينية للمسيحيين جلياً ، وتشددها مع المسلمين واضحاً . والكارثة الأخرى أن
السياسيين المسلمين والأغنياء منهم لا يزالون متمسكين بحبل الرئيس والحكومة .
فحتى متى يتغافل المسلمون هناك عن الخطر المحدق بهم وبإخوانهم
ولايكونون يداً واحدة على من سواهم للتخفيف من الانحياز ؛ ضدهم وذلك بالطرق
الشرعية ، فالمسلمون جزء من ذلك الشعب . أما أن يهمشوا ويضطهدوا ، فهذا ما لا
يقبل ، ثم أين (منظمة المؤتمر الإسلامي) ، و (رابطة العالم الإسلامي) ، و (المجلس
العالمي للمساجد) ؟ ! بل أين كل دولة مسلمة ؟ لماذا لايكون لهؤلاء مواقف قوية
ستكون لها آثارها بإذن الله . وحين يكون الموقف سلبياً من تهميش المسلمين
ومحاولات إضعافهم فستتوالى الضغوط والاضطهادات عليهم كما هو حاصل الآن .
إن علينا مد يد العون لإخواننا ودعمهم كما يفعل غيرنا مع بني ملتهم ؛ حينها
ستتلاشى أحلام (البابا) بجعل إفريقيا نصرانية عام (2000) ، وهذا سوف يحدث
بإذن الله ، وصدق الله العظيم : ﴿ ودَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا
يُضِلُّونَ إلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران : 69] .
﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ
أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إنَّ اللَّهَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : 109] .

المسلمون والعالم

الحروب الصليبية

بعد 900 عام ... هل انتهت ؟

بقلم : عبد العزيز كامل

اختارت الدول الأوروبية الواقعة على سواحل البحر الأبيض المتوسط يوم
27 نوفمبر من عام 1995م ، لكي يكون موعداً لانعقاد مؤتمر موسع في برشلونة
بأسبانيا يضم 15 دولة أوربية و12 دولة متوسطية من بينهما 8 دول عربية إضافة
إلى تركيا وقبرص ومالطة و ... ودولة العدو الصهيوني ، فهل جاء هذا الموعد في
زمانه ومكانه محض مصادفة ؟ ! كلا .. إن هذا الموعد يوافق بالتمام والكمال ذكرى
مرور 900 عام على بدء الحروب الصليبية ، ففي مثل ذلك اليوم من ذلك الشهر
في عام 1095 للميلاد ، أطلق بابا النصارى (أوربان الثاني) دعوته لبدء الحملات
الصليبية على البلدان الإسلامية الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط بغرض
الاستيلاء على بيت المقدس .

منذ سنوات قليلة خلت ، اختار الأوروبيون ذكرى أخرى لاتخلو من الدلالات
التاريخية ، ليعقدوا فيها في إسبانيا أيضاً مؤتمر مدريد ، وكان في ذكرى مرور
خمسئة عام على سقوط الأندلس ! ومعلوم أن هذا المؤتمر قد دشنت فيه المرحلة
الحاسمة لإسقاط المزيد من شقيقات الأندلس بأنواع أخرى من السقوط . أما
(برشلونة) فإن مؤتمرها المعقود بين الفرقاء التاريخيين لم يعقد من أجل تعاون
اقتصادي ، أو سياسي أو عسكري بالدرجة الأولى ، بل لم يكن من همومه حل
ماتبقى من مشكلة الشرق الأوسط أو المغرب العربي ، بل كان الهم الأول المسيطر
عليه فيما ظهر : إقحام جسم يراد إقحامه في المنطقة العربية بوسائل مباشرة وغير
مباشرة ، فقد اتجه المؤتمر إلى تعزيز جهود دول عديدة تتحرى إدخال إسرائيل في
صميم نسيج المنطقة العربية والشرق أوسطية ، تمهيداً للتعاقد على إقامة تحالف بين

دول المنطقة ، يضمن توزيع المنافع فيها ، ويعمل على احتواء ظاهرة الخوف التي
أصبحت الدول في شمال المتوسط تكثر الشكوى منها .
إن أوروبا تريد باختصار أن تحفظ أمن حدودها الجنوبية بأي ثمن ، ولكن
ممن ؟ ! هل هناك دولة أو نظام واحد في شمال إفريقيا يصرح أو يلمح بتهديد
الجيران الشماليين ؟ كلا . ولكن الخوف كل الخوف من انتفاضة الشعوب الإسلامية
التي طالما استعبدها واستذلها الأوروبيون في التاريخ الحديث ، وذلك ليس أول
مؤتمر يعقد لهذا الهدف ، فقد عقد في إشبيلية بأسبانيا أيضاً مؤتمر في سبتمبر سنة
1994م ، للغرض نفسه ، وبدعوى ضرورة مواجهة المد الإسلامي الذي يهدد
استقرار حوض البحر الأبيض المتوسط . الغريب أن ثلاث دول كاثوليكية تقف
كرأس حربة في حشد التأييد لهذا التوجه ، وبالذات فرنسا التي أصرت من دون
دول أوروبا كلها على عدم خفض ميزانيتها الدفاعية ، بدعوى تضاعف الأزمات في
حوض البحر الأبيض المتوسط ، فليس البروتستانت الإنجليز والأمريكان أو
الصرب الأرثوذكس وحدهم هم الذين يعانون من حمى (الأصولية الإسلامية) ! .
لقد عقد قبل ذلك بشهور ، وفي 9 ، 10 يونيو عام 1994م مؤتمر مشابه ،
وكان هذه المرة في مدينة اسطنبول التركية ، التي كانت عاصمة للخلافة
الإسلامية ، وشارك في المؤتمر أربعون وزيراً للخارجية والدفاع بالدول الغربية في اجتماعيين
منفصلين ، ضم الأول مجلس وزراء حلف الأطلسي ، وضم الثاني مجلس تعاون
شمال الأطلسي ، الذي يضم كافة الدول الأوروبية الشرقية ، والغربية ، وشاركت
فيه روسيا أيضاً ، وكان محور الاجتماع يدورحول وضع خطة لمواجهة الخطر
القادم الذي يمكن أن يواجه العالم بعد انتهاء الحرب الباردة ، وتكررت جلسات
الاجتماع بين الوزراء أعضاء المؤتمر ، ثم كُلف أمين عام الحلف (سابقا) (ويلي
كلاوس) بشكل رسمي بإعداد ورقة عمل للحلف تتضمن كيفية مواجهة المد الإسلامي

أو (الأصولية الإسلامية) .
وخلص (ويلي كلاوس) (فيما يبدو) إلى أن (الأصولية) هي أكبر خطر يواجه
الحضارة الغربية ، حتى إنه قال لمجلة (زيتونج) الألمانية الصادرة في 2 فبراير
1994م : (إن الأصولية خطيرة كما كانت الشيوعية ، ونرجوكم ألاتقللوا من شأن
هذا الخطر) وأضاف : (إن حلف الأطلسي هو أكثر من تحالف عسكري ، فقد أخذ
على نفسه أن يدافع عن المبادئ الأساسية للحضارة الغربية) ! وقال في حديث آخر
نشرته مجلة (الإيندبندنت) البريطانية : (إن الخطر الأصولي الإسلامي هو من أهم
التحديات التي تواجه الغرب بعد تفكك الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية) وقال :
(من واجبنا أن نتعاون مع الدول التي تواجه ذلك النوع من الصعوبات) .
هل هو إذن تحضير لحروب صليبية جديدة ؟
! ألم تنته الحروب الصليبية بعد؟!
ألم يقل القائد (اللنبي) بعد استيلاء الإنجليز على القدس في الحرب العالمية
الثانية وهو واقف على قبر صلاح الدين : (الآن انتهت الحروب الصليبية) ! هل
كان مخطئاً ؟ ! يبدو ذلك .
ويبدو أن أوروبا لم تشبع بعد من دماء المسلمين ، ولم تكفها سبع أو ثمان
حملات في القرون الوسطى لإشفاء غليلها من المسلمين الموحدين ، ولم تشفها
الحملات المعاصرة قبل وبعد الحربيين الكونيتين في النصف الأول من هذا القرن .
بدليل أن صيحاتهم باتت تصم الآذان مبشرة ومنذرة بقيام المزيد من الحروب
الصليبية بين العالم الإسلامي والعالم النصراني .
إن القائد (اللنبي) قال : إن الحروب الصليبية انتهت باستيلاء النصارى على
القدس في القرن العشرين ، ولكن جاء الصرب وافتتحوا حملات جديدة ، حتى قال
وزير إعلامهم بالحرف الواحد في إعلان شهير له : (إن الصرب في معاركهم في
البلقان ، إنما يمثلون طليعة الحرب الصليبية الأخيرة لاستئصال شأفة الإسلام) . إن

العالم قد رأى بعينيه الصلبان تحفر على صدور ورقاب المسلمين في البوسنة ، فهل
تستحق هذه الحرب وصفاً آخر غير (الحرب الصليبية) ؟ !
لقد فرغ النصارى من أمر أكثر الدول والأنظمة في العالم الإسلامي تقريباً ،
وأقبلوا على الشعوب المسلمة ذاتها ، ليناصبوا كل من بقي على الوفاء للدين العداء ، و (الأصولية) التي نصبوها عدواً بديلاً بعد سقوط الشيوعية ، ماهي إلا تعبير عن
رغبة قطاعات عريضة من الشعوب الإسلامية في العودة لأصول الدين هذه .
الأصولية بهذا المعنى ، هي المستهدفة بالحرب الشعواء التي بشر الغرب بقيامها ،
ثم باشر البدء فيها فعلاً ، أحياناً بالقوة العسكرية ، وأحياناً بالمحاصرة الاقتصادية ،
وفي أحايين أخرى بالتسلط الدولي (القانوني) المسمى (الشرعية الدولية (ومهما
حاول الصليبيون الجدد ستر أغراضهم وأحقادهم الدينية بالأقنعة السياسية أو
الاقتصادية أو الثقافية ، فإن تلك الأقنعة تسقط ، ويظهر الوجه الحقيقي للصراع ..
الدين .. ﴿ ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ ﴿ ودوا لو
تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ ، ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم ﴾ ، ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم
بالسوء ، وودوا لو تكفرون ﴾ .
إن القرآن لم يحدثنا عن الأطماع الاقتصادية ، أو الأهداف السياسية
والعسكرية أو الحضارية للنصارى واليهود ، ولكنه ركز على الأغراض الدينية
لهم ، أما الأغراض الأخرى فتأتي بالتبع ، لقد كانت هتافات الجنود النصارى الزاحفين
على بيت القدس أيام الحروب الأولى (أمر الله ... أمر الله ... إنها إرادة الله)
ولاندري أي واحد من الثلاثة يقصدون ! !
وباسم هذا الإله المُدّعى ، ذبح النصارى المسلمين العزل وقت دخولهم القدس
في الحملة الصليبية الأولى ، حتى بلغ عدد القتلى من المسلمين في ساحات الأقصى
وطرقات المدينة نحو سبعين ألفاً . وتخبرنا الروايات الصليبية نفسها بأطراف من

المأساة ، فيروي شاهد العيان (ريمون داجيل) في رواية موثقة لدى أدعياء
(المسيحية السمحة) طرفاً من الحدث ، يقول : (وقعنا على مشاهد لم
يسبق لها مثيل ، فقد قتل عدد كبير من أبناء المدينة ، فكانوا يُرمون
بالنبال ، أو يجبرون على القفز
جماعات من فوق الأسوار ، كما عذب بعضهم قبل أن يرموا في النار ، شوارع
المدينة كانت مليئة بالرؤوس والأيدي والأرجل ، وكان الجنود في كل مكان يسيرون
فوق الجثث ، لقد كانت مجزرة رهيبة بعدها كنا نسير في بحيرات من الدم ، لقد
نهب الصليبيون حتى ارتووا) ! ورصد التاريخ الإسلامي الحدث ذاته بكثير من
التفصيل والدقة ، سردها ابن الأثير في كتابه (الكامل) (ج1 ص 194) ، وذكر أن
المذبحة استمرت طوال يوم الدخول وليلته ، واقتحم النصارى المسجد الأقصى في
صباح اليوم التالي ، وأجهزوا على من احتموا فيه ، وصبغت ساحات المسجد بدماء
العباد والزهاد الركع السجود ، وتوجه قائد الحملة (ريموند) في الضحى لدخول
ساحة المسجد ، متلمساً طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبته ، وكان النظر
لايقع إلا على أكوام من الرؤوس والأيدي والأقدام المقطعة في الطرقات والساحات ،
نهب النصارى جميع الأمتعة وخربوا أثاث المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، ونهبوا
القناديل التي بلغت نيفاً وأربعين قنديلاً ، كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمائة
درهم ، وأخذوا نيفاً وعشرين قنديلاً من ذهب) .

هذا ما حفظته ذاكرة التاريخ عن اليوم الذي أرادوا أن يكون عيداً يحتفل به
المسلمون مع النصارى .. على أنقاض أرض الأندلس الضائعة ، بل ليتهم أرادوا
الاحتفال بالذكرى فحسب ، بل أرادوا أن يجعلوها بداية انطلاق بالتعاون مع بعض
الخائنين من بني جلدتنا لبدء رحلة جديدة من الحروب الصليبية .. وقبل ذلك
بالتعاون مع العدو القديم اليهود الذين أصبحوا اليوم أصدق أصدقاء النصارى
الصليبيين ، وأخلص معاونيهم ، حتى إن الغرب النصراني كله قد أجمع على

تحويل الأرض المقدسة إلى ترسانة ضخمة من الأسلحة النووية والكيمائية
والجرثومية الموجهة إلى صدور كل شعوب المنطقة الإسلامية ، وإن دولة اليهود
(إسرائيل) هي (حصان طروادة) جديد ، حشوه اليهود ، ولكن يعتليه النصارى
ويوجهونه ، واليهود يعرفون دورهم هذا تماماً ، وهم يعلمون أن النصارى يدخرونهم
ليوم معلوم قد يحاول المسلمون فيه استعادة كرامتهم ومقدساتهم .
ولهذا فإن المراقب المسلم لايمكنه أن يتجاهل الدور اليهودي في التبشير
بالصراع القادم ودق الطبول للحرب المرتقبة ، وتصريحاتهم القديمة في ذلك كثيرة
ومتواترة ، ولايزال قادتهم يرددون وبقوة أشد التحذيرات والصيحات والنذر من
خطورة عودة الروح إلى الإسلامية على يد دعاة (الأصولية) . قال حاييم هيرتزوج
الرئيس الإسرائيلي السابق أثناء زيارة قام بها لبريطانيا عام 1993م (إن الأصولية
الإسلامية هي الخطر الأكبر على العالم الحر) . وكان الهالك إسحاق رابين قد كرس
جهده لمحاربة المد الإسلامي في المنطقة وكانت محور اهتمامه في داخل الكيان
الصهيوني وخارجه ، وقد قال في مؤتمر لاتحاد المنظمات اليهود في الولايات
المتحدة (إيباك) في إبريل 1993م (إننا نريد التأكد من أن الرئيس كلينتون وفريقه
يدركان تماما خطر الأصولية الإسلامية والدور الحاسم الإسرائيلي في محاربتها)
واستطرد قائلاً : (إن مقاومتنا ضد الإرهابيين المسلمين القتلة مقصود منها أيضاً
إيقاظ العالم الذي يرقد في سبات عميق ، على حقيقة أن هذا خطر جاد وحقيقي يهدد
السلام العالمي ، والآن نقف نحن الإسرائيليين في خط النار الأول ضد الإسلام
الأصولي ، ونحن نطالب كل الدول وكل الشعوب أن يكرسوا انتباههم إلى الخطر
الضخم الكامن في الأصولية الإسلامية) .
وتترجم هذه الصيحات اليهودية إلى برامج عملية ، فبعد سيطرة الأغلبية
اليهودية الأمريكية على الكونجرس الأمريكي ، برزت تلك السياسة أكثر فأكثر وقدم

(بنوت جنجريتش) رئيس مجلس النواب الأمريكي عرضاً شاملاً للسياسة المقترحة
لمواجهة الأصولية في العالم ، في جلسة عقدت في واشنطن ، وضمت مايزيد على
400 من كبار الخبراء في الشؤون الأمنية والعسكرية وقدم خطة من أربع بنود
تحول في مجملها دون نجاح أي محاولة للنهوض الإسلامي ، وبخاصة في منطقة
الشرق الأوسط .
وقال بالحرف الواحد أمام هذا المؤتمر : الأصولية تعني إعلان الحرب على
الحضارة الحالية للعالم ، وعلينا التعامل مع هذا الموقف على أنه حرب معلنة) ! !
إذن يا (جينجرتش) فالحرب الصليبية على الإسلام الأصولي أصبحت بشكل
رسمي معلنة ، وأنتم في الغرب تديرون معركتها ، فمن يدير معركتنا .. ؟ ! ! .

هموم ثقافية

إشكالية زاوية النظر للديمقراطية (1)

بقلم : سامي محمد صالح الدلال

إن منبع هذه الإشكالية يتصل باختلاف زاوية النظر للديمقراطية ، مما
يؤدي إلى تعدد وجهات تفسير مضامينها في النظام السياسي الواحد
والمجتمع الواحد ، فكيف إذا تعددت الأنظمة السياسية وتضاعفت المجتمعات ! ، لا شك أن ذلك
سيؤدي إلى مزيد من انفراج زاوية الخلاف في تفسير الديمقراطية . ومكمن ذلك
يعود إلى أنها من نتاج العقل البشري الذي يخضع لتأثيرات شتى كل منها له دوره
في انفعالاته ويترك بصماته على تكييف خياله وتوصيف أوامره .

ولنُخْضعْ الآن هذه الإشكالية لزوايا نظر متعددة .

منظور الحكام :

إن الحكام في العالم الثالث لا يعتبرون الديمقراطية وسيلة من وسائل المشاركة
الشعبية في الحكم ، بل هي من وجهة نظرهم تكأة يتكئون عليها لإضفاء رونق
جماهيري على حكمهم ، ولذلك فإن الانتخابات وما ينتج عنها من مجالس نيابية
ينبغي أن يضع لها الحكام برنامج إخراج عملي يحقق هذه الغاية ، ويوصل إلى هذا
الهدف ، فإذا ما اختلت المعادلة عند التطبيق لصالح ازدياد نفوذ المجلس النيابي بما
لايؤدي إلى تحقيق رغبات الحكام ، فإنهم لا يتورعون عن استخدام الجيش لقمع
آثار اختلال تلك المعادلة ، كما حدث في تركيا وباكستان والجزائر وروسيا والقرم
وغيرها .

إن هؤلاء الحكام يطلبون من المجلس النيابي أن يقوم بدوره المناط به لتشريع
القوانين التي ترسم للناس طريقة حياتهم على المنحى الذي يخدم أهداف الحكام
ويحقق أطماعهم ، ولن يستطيع المجلس النيابي أن يضطلع بهذا الدور المبرمج له
إلا إذا كان أداة طيعة في يد الزعيم ، يستمع لرأيه ويأتمر بأمره ، ومن قبل قال

فرعون لملئه (الذين هم أعضاء مجلسه) : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ
سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر : 29] وقد كان فرعون سبّاقاً في استعمال مجلسه واجهة
لتحقيق مآربه وأهدافه الطاغوتية ، فأراد استخلاص قرار من ذلك المجلس بقتل نبي
الله (موسى عليه الصلاة والسلام) خوفاً من أن يفلح موسى (عليه الصلاة والسلام)
في تبديل عقيدة الجماهير الحاشدة من حالها الشركي إلى دين التوحيد ، أو أن يردها
إلى الصلاح الذي هو في عرف فرعون فساد ، قال (تعالى) : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ
الفَسَادَ ﴾ [غافر : 26] ، وكأنما ليس ثمة فساد في الجماهير التي يحكمها فرعون ؛
فهي في مفهومه قد استكملت أركان الصلاح بعبادتها له وطاعتها أوامره فهي والحال
هذه ليس فيها من الفساد مايذكر ! .

لقد كانت خشيته ظاهرة من أن يدب فيها الصلاح بانتشار دعوة التوحيد فيها
بعد أن كانت في حالة فساد حقيقي تمثل في استسلام الجماهير له وتأليههم لشخصه ؛
اقتنع فرعون بالنتيجة التي وصل إليها ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ [النازعات : 24] .

إن الديمقراطية في العالم الثالث (كما يسمونه) ينبغي أن تحقّق من منظور
الحكام هذه الغاية وإلافلا داعيَ لها .

ومن هذا المنظور ، فإنهم ينظرون إلى هذه الديمقراطية باعتبارها واجهة
تضفي على حكمهم طابع المشاركة الشعبية ، وتنفي عنهم تهمة الطاغوتية
(الديكتاتورية) فضلاً عن كونها مسرباً يمررون من خلاله رغباتهم في إطار
قانوني ، والواقع أنهم لا يجدون في ذلك صعوبة تذكر ، ذلك أن المجلس النيابي واستمرار
بقائه مناط بهذا الدور الموكل إليه .

منظور الأحزاب :

إن الديمقراطية من وجهة نظر الأحزاب هي وسيلة للوصول إلى الديكتاتورية
الحزبية ، أي فرض رأي حزب ما على جميع الأمة من خلال المجلس النيابي .

وقد يتحقق ذلك لحزب من الأحزاب : من خلال حصوله على الأغلبية
البرلمانية ؛ إما بقوة حضوره الجماهيري ، من خلال حسن تنظيمه وكثافة إعلامه
وتبنيه لقضايا الناس ولو نظرياً ، وإما من خلال فرض سيطرته وهيمنته الحزبية
عن طريق الجيش (كما هو الحال في حزب البعث الحاكم في بعض الدول العربية) .

إن هذه الأحزاب وهي في حُمّى الاندفاع للحصول على أكبر عدد من كراسي
المجلس ، تضحي بقيم خلقية ، وتمارس أبشع الأفعال الردِيّة ، من رشوة ومحسوبية ، دون أن يرمش لها جفن أو أن ترتجف في يدها إصبع ؛ ولذلك تراها تتقاتل
بالسلاح للحصول على أصوات الناخبين ، بنفس القوة التي توزع فيها الرشوة ،
سواء أكانت أموالاً أم وعوداً بمناصب ، وهي في كل ذلك لاتتورع عن ممارسة
الكذب والدجل لتحقيق أغراضها والوصول إلى مراميها .

ونظراً لانحطاط المستوى الثقافي لدى كثير من الجماهير ؛ فإنها سرعان ماتقع
في فخاخ هذه الأحزاب ، لتكون لها صيداً سهلاً ، لكنه ثمين ! ! .

كما أن هذه الأحزا ب يتربص بعضها ببعض كل التربص باسم الديمقراطية ،
وليس ثمة ضحية لهذا الصراع إلا مصالح الشعوب المستضعفة التي لاتجد ما يسد
جوعها ، ويكسي عريها ، ويوفر مأواها .

ومن سخريات الواقع أن معظم هذه الأحزاب ترفع شعارات براقة مضمونها
واحد وعباراتها شتى ، فجميعها لم توجد إلا لخدمة مصالح الكادحين والعمال
والفلاحين ، ولرفع الظلم عن المظلومين ، وللنهوض بمستوى المعيشة ، وتحقيق
الكفاية والعدل وتشييد دعائم النهضة ، وهلم جرا .

إن معظم هذه الأحزاب قد نشأت محادة لله ورسوله ، وهي ألعوبة في أيدي
أعداء الأمة ، بل هي رماحها التي تخرق ، وسيوفها التي تقطع ، ولقد اتخذت من
الديمقراطية لباساً تختفي تحت مخططاتها وتحيك مؤامراتها ، ففرقت الأمة ، وشتت
كلمتها وبعثرت جهدها ، بعد أن صدتها عن دينها ، وماكان ينبغي لهذه الأمة أن

تستسلم لهذه الأحزاب وقادتها بعد أن غشيتها رحمة ربها بهذا الدين العظيم الذي
ارتضاه لها ، قال (تعالى) : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52)
فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ
حَتَّى حِينٍ ﴾ [المؤمنون : 52 54] .

وكم فعلت هذه الأحزاب من أفعال شائنة بعد أن استلمت السلطة ، وتبرقعت
بلبوس الديمقراطية ، فسامت شعوبها سوء العذاب ، فقتلت الشرفاء وحولت الصلحاء
إلى المحاكم العسكرية وعاثت في الأرض فساداً ، وصدق فيها قوله (تعالى) :
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ
الخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ
لا يُحِبُّ الفَسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ
المِهَادُ ﴾ [البقرة : 204- 206] .

المنظور القبلي :

إن التنافس بين القبائل لاحتلال مراكز التوجيه ومواقع السيطرة واستلام زمام
القيادة كان من قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وعندما جاء الإسلام أزاح
عصبية الجاهلية الأولى ، وعَقَدَ التفاوتَ والتمايزَ على علم التقوى ، قال (تعالى)
﴿ .. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .. ﴾ [الحجرات : 13] ثم لما خبا الحس الإسلامي في
نفوس المسلمين في أزمنتنا الحاضرة هذه ، نبا إلى السطح من جديد حس الانتماء
القبلي ، وطغت النعرة العشائرية ، وقد وجدت القبائل في الديمقراطية بغيتها التي
تحقق من خلالها بروزها على غيرها بأسلوب حديث وحضاري ! !

فمن أجل هذا تؤيد القبائل الديمقراطية وتشارك فيها ؛ فتتضافر جهود القبيلة
على دعم مرشحيها بكل الوسائل المادية والمعنوية المتاحة ، ولا تشترط القبيلة
غالباً فيمن يمثلها حرصه على الدعوة إلى الإسلام وتحكيم شريعة الله المنزلة على

خير الأنام ، بقدر ماتشترط قدرته على التعبير عن مطالبها ، وتمكنه من إبراز
مناقبها ، ورفع اسمها ، ولوكان مرشحها ملحداً أو صوفياً حلولياً .
ويتنافس نواب القبائل في المجلس على استصدار القوانين التي تعزز بروز
قبائلهم ، ويتسابقون في تقديم الخدمات لمناطقهم ، فترى نائب القبيلة في البرلمان لا
يمثل شعبه إنما يمثل قبيلته فحسب .
ولعل بعض القبائل لو خيرت بين النظام الإسلامي والنظام الديمقراطي
لاختارت الأخير إن شعرت أنها ستكون أكثر بروزاً وأوفى حضوراً في رحابه ؛
حيث إنها لا تستطيع أن تحقق ذلك في النظام الإسلامي الذي يسمو فوق كل الشرائح
الطبقية والانتماءات القبلية .
فلما صار للقبائل هذا الثقل في الكفة الديمقراطية تسابقت الأحزاب على كسب
رضاها ، وخَطْب ودها ؛ أملاً في توظيف أصوات المنتمين إليها لصالح دعم تلك
الأحزاب ، ولما رأت تلك القبائل تدافع الأحزاب نحوها وتنافسها على حيازة
أصواتها ، وجدت في ذلك ضالتها ، وهي الاستفادة من تلك الأحزاب وإمكاناتها
الكبيرة في تسخيرها لصالح مرشحيها ، وهكذا حصل الانقضاض التداخلي
والامتزاج التفاعلي بين الأحزاب والقبائل ، كل منهما منصرف الذهن إلى توظيف
الآخر لصالح أهدافه .
إن القبائل ترى في الديمقراطية محضناً لتفريخ الأحزاب ووسيلة ممتازة
للبروز السياسي من خلال انضمام أفراد القبيلة إلى الأحزاب المختلفة التي من
خلالها يتسلقون سلم الأضواء السياسية ، والتي بدورها توفر الفرص الاقتصادية
وتوسع وترفع مكانتها الاجتماعية .
فالديمقراطية من خلال هذا التحليل تكرس وتعزز وتعمق الحس القبلي
والانتماء العائلي على حساب الرسوخ العقدي والامتثال الدعوي ؛ وهذا يعني أنها
تنأى بتلك القبائل عن مفهوم قوله (تعالى) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ

وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أتقاكم ..
[الحجرات : 13] .
وهذا معناه : من الناحية العملية افتراق الكلمة ، وبث بذور العداوة وتنمية
روح البغضاء ، وتوسيع التنابز بالألقاب ؛ بما يؤدي إلى تفتيت الوحدة الحقيقية
واستهلاك الطاقات الشعبية فيما يضر ولاينفع ، مما يوهن الكيان الإسلامي ويضعف
تماسكه ، ثم يؤدي به في نهاية المطاف إلى أن يكون لقمة سائغة في فم أعداء الأمة
ومبغضيها .
إن القبائل هي مادة سواد المسلمين ، ويلاحظ قصور كبير لدى الإسلاميين في
قيامهم بمهام الدعوة على منهاج أهل السنة والجماعة في تلك القبائل الكثيرة المبثوثة
في طول العالم الإسلامي وعرضه ، مما جعل ساحتها فارغة ، فاقتنص العلمانيون
هذه الفرصة ليملؤوها بغثاء أفكارهم الهابطة وآرائهم الهدامة .
ولاشك أن جنوح القبائل نحو المشاركات الديمقراطية فيه مؤشر كاف للتدليل
على نجاح العلمانيين في اقتحام حصون الإسلام ، من خلال التأثير على زعماء
القبائل ورواد توجيهها ، وإننا نأمل أن يولي الإسلاميون القبائل والعشائر ماتستحق
من الاهتمام وبذل الجهد ؛ لتسلك السبيل القويم والمنهاج الصحيح ، فتكون رافداً
غزيراً للعمل الإسلامي الدعوي التغييري المنضبط بالنصوص الشرعية والواعي
لساحة الواقع ، وما فيها من دهاليز وماتكتنفها من مؤثرات .

منظور العامة :

أقصد بالعامة : أغلبية الناس ، وهم العوام الذين يشكلون في العالم الثالث
الطبقة الكبرى ، وهؤلاء يقسمون إلى شرائح : فمنهم أميون ، ومنهم مثقفون ثقافة
محدودة ، وأغلبهم عمال وفلاحون ومهنيون ، ومعظمهم غير منتمين إلى الأحزاب ،
فيستفاد من ضوضائهم وصراخهم في الهتافات والمظاهرات وإحداث الضجة وتعميم
الصخب .
إن هذه الطبقة غالباً ماتكون في ضنك من العيش ومكابدة للحياة ، فهي في كدّ

لا ينقطع ، تسعى ليل نهار لتحصيل قوت يومها وسد جوعة أبنائها ، وإن كثيراً
منهم لايفلح في الوصول إلى خط الكفاف ، فهم بمثابة الغريق ، يفتش عما يمكن أن
ينقذه وإن كانت قشة ، ولما كانت الأحزاب ترفع شعار الدفاع عن الفقير والمسكين
وعن المكفوف والملهوف ، وأنها من خلال الديمقراطية ومعارك المجالس النيابية
ستعيد للمظلوم حقوقه وتدفع عنه أسباب الفاقة والعوز ، لذلك نظر العامة إليها أي
الأحزاب المنادية بالديمقراطية على أنها طريق لحل أزماتهم وتحصيل حاجاتهم ،
فهي وسيلة مشروعة ، من وجهة نظرهم ، للحصول على مكاسب معيشية ، بل
رفاهية حياتية ، فتدافع العامة للانتساب إليها (تنظيماً حزبياً وشعاراً ديمقراطياً) ، فتم
سوقهم في أنفاق الديمقراطية ، ثم انساحوا في دروبها ومسالكها ، وصاروا لها داعين
وللاحتكام إليها مطالبين ! !

ورغم أن جميع هؤلاء من المسلمين أقصد في البلاد الإسلامية فإنهم لم يفطنوا
إلى أن ما يرومونه من حل لمشكلاتهم وإشكالاتهم لايتحصل لهم إلا في دوحة
الإسلام وظلالها الوارفة ، وماسبب ذلك إلا جهلهم به لطول عهدهم بهجره ؛
ولتقصير كثير من علمائه في القيام بحقه ، فالإسلام لدى أغلب العوام عادة موروثة
تنحصر في (سجادة الصلاة وسبحة ألفية) ! وعلاقة بين العبد وربه لاشأن لها بأي
منحى من نواحي الحياة .

ولذلك تعلق العوام بالديمقراطية ، بعد أن قدمها لهم الإعلام على أنها المنقذ من
مهاوي الجهل والفقر ، وباعتبارها أيضاً طريقاً مفتوحًاً أمامهم يغريهم بالمشاركة في
الحكم وصنع القرار السياسي ، دون أن يدركوا أن هذا الطريق المنفسح مد
أبصارهم نظرياً لايستطيعون سلوكه عملياً لانعدام حصولهم على مقومات ولوجه ،
فضلاً عن اقتحام قلاعه واجتياح حصونه ، إن العوام في هذا البحر الخضم كالسمك
الذي هجر قاعه المكتنز بأصناف الغذاء ولاذ بالسباحة قرب السطح يفتش عن فتات

خبز يلقيه إليه صياد ، فما يكاد يزدرده حتى يحس بوخز رأس السنارة وهي تنغرز
في جوفه ، وليست إلا لحظات ، فإذا به هامد الحركة في سلة صائده !
فعجباً لمن يَدَعُون غذاء الإسلام ويجرون وراء فتات خبز الديمقراطية
فتصطادهم سنارة العلمانية لتلقي بهم في سلة أعداء الإسلام ، وربما فقدوا حياتهم
الإيمانية التي لا استمرار حقيقياً لوجودها إلا باتباعهم دين الله المنزل من السماء ،
ولقد مرت على العالم الإسلامي عهود ، ولاتزال تسلط فيها الطواغيت ، وصادروا
الحريات ونكلوا بالمعارضين ؛ فأصبح الناس لايتكلمون إلا همساً ، ولايذكرون
مطالبهم إلا تورية ، ولا يعبرون عن مشاعرهم إلا في مسارب أوردة أفئدتهم ،
فتراهم يعدون على أنفسهم أنفاسهم ؛ ويحصون على ألسنتهم ألفاظهم ، فعندما بلغت
القلوب الحناجر ، وتجاوز السيل الزبى ، قيل لهم : ها هي أبواب الديمقراطية قد
أشرعت ، وأقداحها قد أترعت ، فادخلوها آمنين ، وارتووا من كؤوسها هانئين ! !
فازدحموا على فجاجها أفواجاً أفواجاً ، وتلاطموا على حيازة كراسي نيابتها أمواجاً ،
ولسان حالهم يقول : هذه دار حريتنا ومُبوّأ استرداد كرامتنا !
إن الديمقراطية بمعناها الشامل المتضمن انعتاق الحرية عن كل انضباط
شرعي أتاحت للطغام من العوام من العلمانيين وأمثالهم ، أن يتخذوا منها مظلة
لانحراف أخلاقهم وإظهار خلاعتهم وكشف عوراتهم نساءً ورجالاً باسم الحرية
الشخصية ، بل أتاحت لهم أن يوظفوا أقلامهم ، وينفثوا حقدهم الأسود على كل
مايمت للإسلام والمسلمين بصلة ، وقد وجد هؤلاء العوام في الديمقراطية ملاذاً ، في
ظله يمارسون المنكر باسم الحب ، ويعاقرون الخمر باسم المشروبات الروحية ،
ويبتلعون أموال الناس ربوياً باسم الفائدة ، فلهذا السبب يأله هؤلاء الطغام
الديمقراطية ، ويكرهون الإسلام ، إن الديمقراطية تتيح لهم فرصة نشر فسادهم في

عامة الناس ، حتى يصبح ذلك بينهم عادة ، ومن يخرج عليه يستحق الإبادة ! ! .
وأما الأحزاب ، فإنهم يرون في هؤلاء العوام مادة خاماً يكثرون بها سوادهم ،
ويستفيدون من أصواتهم الانتخابية ، بل يستخدمونهم في تنفيذ أهدافهم ونشر
دعاياتهم والدفع بهم في نحور خصومهم ! !
وإن من العجب حقاً ، أن هؤلاء المستضعفين ، رغم سوء حال معيشتهم
ومحدودية دخولهم، فإنهم يقعون ضحية للديمقراطيين الذين يدفعونهم للتبرع بأموالهم
، على حساب اللقمة التي يقتطعونها من أفواه أطفالهم ، عن طريق التأثير على
مشاعرهم واستمطار عواطفهم ، رافعين الشعارات البراقة ، وباذلين الوعود
المهراقة ! !
وأما العوام ، بل وغير العوام من أصحاب الديانات الأخرى ، فإنهم يعتبرون
الديمقراطية مكسباً ؛ لأنها تبعد المسلمين عن الإمساك بزمام السلطة ، فضلاً عن
كونها مظلة قانونية تتيح لهم نشر أباطيلهم وترهاتهم ! ! (للحديث بقية)

في دائرة الضوء

فقه مراتب الأعمال

بقلم : د .سعد الدين العثماني

الفقه استنباط للمعاني :

اتفقت نصوص الكتاب والسنة على أهـمية الفقه بالنسبة للمسلم ، وحثت على
طلبه وإعلاء شأنه ، ففي الصحيحين عن معاوية أنه سمع النبي -صلى الله عليه
وسلم- يقول : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) [1] ، والفقه : الفهم ؛ فهم
معاني الكلام ومراميه وإنزاله منازله .

وثبت في نصوص أخرى أن الفقه ليس هو حفظ النصوص واستعراضها ،
وإدراك ظواهر ألفاظها ، فعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله -صلى الله عليه
وسلم- قال : (مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير
أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب
أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، شربوا منها وسقوا ورعوا ، وأصاب طائفة منها
أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأً ، فذلك مثل من فَقُه في دين الله
ونفعه الله به فَعلم وعَلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي
أرسلت به) [2] .

فالمستجيبون لما بعث الله به رسوله صنفان : صنف أول : تلقى الهدى والعلم
فأنبت منه (الكلأ والعشب الكثير) علما وعملاً ، إذ فَجّر من ذلك علماً وفقهاً كثيراً
نفع الله به ، وصنف ثان : نقل الهدى والعلم كما تلقاه ، فهو بمثابة الأرض التي
يستقر فيها الماء فينفع به الناس .. فالأولون فقهاء والأخيرون حفظة ، ولكل دوره
ومكانته .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله قال : (نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ،
ثم بلّغها عني ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه
منه) [3] ، وهذا التأكيد نفسه على أن حمل النصوص وحفظها لايصنف وحده
الإنسان في دائرة الفقهاء ، بل هو في حاجة إلى شروط زائدة : فطرية ومكتسبة .

ولذلك لم يكن الصحابة رضي الله عنهم كلهم في مستوى واحد من الفقه أو
الحفظ ، بل كان منهم فقهاء عرفوا بعمق الاستنباط ودقة الفهم والقدرة على الغوص
في عمق التشريع ، من أمثال الخلفاء الراشدين وعبد الله بن عباس ، وكان منهم
قراء حفظوا القرآن وأتقنوا حروفه ، وأحكموا آياته من أمثال زيد بن ثابت ، وكان
منهم محدثون انصرفت همتهم إلى حفظ الحديث وإتقانه مثل أبي هريرة وكان لكل
منهم حظ معين في التخصصات الثلاثة كلها ، إلا أن همته كانت مصروفة أكثر إلى
الفقه أو القراءة أو حفظ الحديث . وهناك من اشتهر في الفقه والحفظ كليهما مثل
عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنهم جميعاً) .

وعندما دعا الرسول -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس بقوله : (اللهم فقهه
في الدين) [4] لم يكن المقصود أن يكثر حفظه للنصوص أو أن يدرك ظواهر
ألفاظها فقط ، بل المقصود من الدعاء : أن يبارك في فهمه واستنباطه ، حتى
يستخرج من النصوص كنوزها ، ويدرك من الكلام معانيه ومراميه ؛ لذلك كانت
أرضه من أطيب الأراضي وأخصبها ، قبلت الهدى والعلم النبويين ، فأنبتت من كل
زوج كريم .

يقول ابن تيمية وهو يعقد المقارنة بين حفظ أبي هريرة وفقه ابن عباس :
(وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره ؟ !
وأبو هريرة أحفظ منه ، بل هو حافظ الأمة على الإطلاق : يؤدي الحديث كما سمعه
ويدرسه بالليل درساً ، فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ماحفظه كما سمعه ،
وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط وتفجير النصوص وشق الأنهار
منها ، واستخراج كنوزها) [5] .

وهكذا فإن على شباب الصحوة الإسلامية أن يدركوا أن مجرد قراءة
النصوص وحفظها ليس فقهاً ، بل الفقه شيء زائد عن مجرد الألفاظ ، وهذا أمر

ورد واضحاً في قوله (تعالى) : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ
لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾ [النساء : 82] : قال ابن كثير في تفسير الآية :
(يستنبطونه أي يستخرجونه من معادنه) ، فالكلام أن معنى يستنبط
يستخرج ، يقول : (ومعلوم أن ذلك قدر زائد على مجرد فهم اللفظ ، فإن ذلك ليس طريقه الاستنباط ،
إذ إن موضوعات الألفاظ لاتنال بالاستنباط ، وإنما تنال به العلل والمعاني والأشباه
والنظائر ومقاصد المتكلم ، والله سبحانه ذم من سمع ظاهراً مجرداً فأذاعه وأفشاه ،
وحمد من استنبط ، من أولي العلم حقيقته ومعناه) .
لذلك فإن معرفة فنون العلم والفقه الواردين في الشرع ، وتتبع تقريرات علماء
السلف في ذلك هو وحده العاصم من الخروج عن مراد الشرع نظراً وعملا ، وهو
الهادي للسداد والتوفيق ولخيري الدنيا والآخرة .

المقصود بفقه مراتب الأعمال :

هو من أنواع الفقه التي يجب أن يتعلمها المسلم ويهتم بها ، وهو يعني العلم :
بفاضل الأعمال ومفضولها ، وأرجحها ومرجوحها ، فإن كانت الأعمال طاعة علم
أيّها أحب إلى الله وأكثرها أجراً وثواباً ، وإن كانت معصية علم أيّها أبغض إلى الله
وأكثرها وزراً وعقوبة ، وإن كانت الأعمال وسيلة إلى أهداف معينة (المقاصد
الشرعية مثلاً) علم أيّها أقدر على تحقيق هذه الأهداف ، وأيّها أولى بذلك ، وإن كان
الإنسان أمام بدائل متعددة من خير أو شر ، علم خير الخيرين وشر الشرين ، وإذا
جهل المسلم أي الأعمال أفضل وأولى لاشك أن ينفق وقته وجهده وماله في أجر أقل
ويفوت ماهو أجل وأعظم ، وأنه اختلطت لديه مراتب الأعمال واختل لديه توازنها
قد يصل إلى عكس مقصود الشرع ؛ فيأثم من حيث يريد أن يغنم ، أو إلى عكس
مقصوده في الواقع ؛ فيفسد من حيث يريد أن يصلح .

القرآن الكريم ومراتب الأعمال :

وقد وردت آيات عديدة في كتاب الله (عز وجل) تبين أن الأعمال ليست كلها
في درجة واحدة ، بل تختلف درجاتها في الخير ، كما تختلف دركاتها في الشر .

ومن ذلك قوله (تعالى) : ﴿ إن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا
الفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾
[البقرة : 271] . قال ابن كثير : (فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها) [*] .

ومن ذلك أيضا قوله (تعالى) : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ
كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي
القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة : 19] ففاضلت الآية بين أمرين كلاهما طاعة وقربة ،
وبينت أنهما لايستويان عند الله (تعالى) .

وفي قوله (تعالى) : ﴿ لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر : 3] دليل على
أن عبادة وقيام ليلة القدر خير من عبادة ألف شهر .

كما بين القرآن الكريم في آيات أخرى : أن المحرمات منها الكبائر
والصغائر ، فقال (تعالى) : ﴿ إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم
مُّدْخَلاً كَرِيماً ﴾ [النساء : 31] ، وقال سبحانه مادحاً عباده المحسنين : ﴿ الَّذِينَ
يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ ﴾ [النجم : 32] . فدلت الآيتان على أن
المنهيات قسمان : كبائر ، وأخرى دونها سميت في الآية الأولى سيئات ، وفي
الثانية لمَماً . قال ابن كثير (لأن اللمَمَ من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال) .

السنة النبوية ومراتب الأعمال :

والسنة النبوية زاخرة بالنماذج والأمثلة لتفاضل الأعمال والتكاليف الشرعية
التي يجب على المسلم مراعاتها في عبادته وحركته في الحياة ، وربما يكون أجمع
حديث في ذلك حديث أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال :
(الإيمان بضع وسبعون أوبضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها
إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) [6] .

وقد سئل الرسول -صلى الله عليه وسلم- مراراً عن : أي الإسلام أفضل ، أو
أيه خير فأجاب ، وإنما المقصود أي أعمال المسلم أفضل أو أخير ؛ ولذلك بوب

الإمام النووي لأحاديث رواها مسلم في صحيحه من ذلك النوع ، فقال : (باب بيان
تفاضل الإسلام ، أو أي أموره أفضل) [7] .
وفي المقابل بينت أحاديث عديدة كون الذنوب أنواعاً ومراتب ، فعن أبي بكرة
عن أبيه قال : قال رسول الله : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يارسول الله .
قال ثلاثاً : (الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين) وكان متكئاً فجلس فقال : (ألا وقول
الزور وشهادة الزور ، ألا وقول الزور وشهادة الزور) [8] . وعن عبد الله بن
مسعود قال : قلت يارسول الله : أي الذنوب أعظم ؟ قال : (أن تجعل لله نداً وهو
خلقك) ، قلت : ثم أي ؟ قال : (أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك) [9] .

أصول الفقه يضع القواعد :

وانطلاقاً مما مر ، فقد اتفقت الأمة على أن الأحكام الشرعية التي كلف بها
المسلم أنواع ومراتب ، وليست على ميزان واحد ، كما اتفق جمهور العلماء على
انقسام مأمورات الشرع إلى واجبات ومستحبات ، وانقسام منهياته إلى مكروهات
ومحرمات . يقول مجد الدين ابن تيمية في المسودة : (اتفق الفقهاء والمتكلمون على
أن أحكام الشرع تنقسم إلى : واجب ، ومندوب ، ومحرم ومكروه ومباح) [10] .
ولأن الواجب على المسلم أن يضع كل أمر شرعي موضعه ، ولايخلط بين
أنواع الأحكام أو يتعامل معها كيفما اتفق ، فقد بين العلماء والأصوليون منهم
بالخصوص تعريف كل نوع من الأحكام الشرعية التكليفية الخمسة ، ووضعوا قواعد
لكيفية استنباطها وأساليب التفريق بينها ، كما قرروا أنه لذلك لايجوز أن يُسوّى بين
الواجب والمندوب (لافي القول ولا في الفعل ولافي الاعتقاد) [11]، ولايسوى بين
الحرام والمكروه [12] ، ولا بين المباح وبين المندوب والمكروه [13] ، يقول
الشاطبي : (الواجبات لاتستقر واجبات إلا إذا لم يُسوّ بينها وبين غيرها من
الأحكام ، فلا تُترك ولايُسامح في تركها البتة ، كما أن المحرمات لاتستقر كذلك إلا إذا لم
يسوّ بينها وبين غيرها من الأحكام فلاتفعل ، ولايسامح في فعلها) [11] .

والمصالح الشرعية مقسمة إلى : ضروريات ، وحاجيات ، وتحسينيات ،
وهي مرتبة هذا الترتيب ، فإن الأوامر المتعلقة بالأمور الضروية كما يقول الشاطبي : (ليست كالأوامر الشرعية المتعلقة بالأمور الحاجية ولا التحسينية ، ولا الأمور
المكملة للضروريات كالضروريات أنفسها ، بل بينهما تفاوت معلوم ، بل
الضروريات ليست في الطلب على وزان واحد ، كالطلب المتعلق بأصل الدين ليس
في التأكيد كالنفس ، ولا النفس كالعقل إلى سائر أصناف الضروريات ، والحاجيات
كذلك ..) [14] .

إذاً لايكفي المسلم أن يعلم ما أَمَر به الشرع أو مانهى عنه ، بل عليه أن يعلم
أيضا درجة الأمر أو النهي ، وأن ينزل كل ذلك مرتبته دون إفراط ولاتفريط .

فقه مراتب الأعمال خاصةُ العلماء بهذا الدين :

وقد وصف الإمام ابن تيمية فقه مراتب الأعمال بأنه حقيقة الدين ، وحقيقة
العمل بما جاءت به الرسل ، وبأنه خاصة العلماء بهذا الدين . يقول : (فتفطن
لحقيقة الدين ، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد ،
بحيث تعرف ما ينبغي من مراتب المعروف ومراتب المنكر ، حتى تقدم أهمها عند
المزاحمة ، فإن هذا حقيقة العمل بما جاءت به الرسل ، فإن التمييز بين جنس
المعروف وجنس المنكر ، وجنس الدليل وغير الدليل يتيسر كثيراً . فأما مراتب
المنكر ومراتب الدليل ، بحيث تقدم عند التزاحم أعرف المعروفين فتدعو إليه ،
وتنكر أنكر المنكرين : وترجح أقوى الدليلين ، فإنه هو خاصة العلماء بهذا
الدين) [15] .

أما تلميذه ابن القيم فقد اعتبر انشغال الإنسان بالأعمال المفضولة عن الفاضلة
من عقبات الشيطان التي لايتجاوزها المسلم إلا بفقه في الأعمال ومراتبها ، إن
الشيطان في هذه العقبة يأمر الإنسان ويُحَسّن له الأعمال المرجوحة المفضولة من
الطاعات ، ويريه مافيها من الفضل والربح ؛ ليشغله بها عما هو أفضل وأعظم كسبا

وربحاً ، (لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب ، طمع في تخسيره كماله
وفضله ، ودرجاته العالية ، فشغله بالمفضول عن الفاضل ، وبالمرجوح
عن الراجح ،
وبالمحبوب لله عن الأحب إليه ، وبالمرضي عن الأرضى له) ، ثم قال ابن
القيم :
(فإن نجا منها بفقه في الأعمال ومراتبها عند الله ، ومنازلها في الفضل ،
ومعرفة
مقاديرها ، والتمييز بين عاليها ، وسافلها ، ومفضولها وفاضلها ،
ورئيسها
ومرؤوسها ، وسيدها ومسودها ؛ فإن في الأعمال والأقوال سيدا ومسودا
، ورئيساً
ومرؤوسا ، وذروة وما دونها ... ولايقطع هذه العقبة إلا أهل البصائر
والصدق من
أولي العلم ، السائرين على جادة التوفيق ، قد أنزلوا الأعمال منازلها ،
وأعطوا كل
ذي حق حقه) [16] .

غياب حس الأولويات :

لقد كان لعدم الاهتمام بتعليم المسلم هذا الفقه الجليل آثار قد تكون
بعيدة المدى
وشديدة الضرر دنيا ، وأخرى . ومن تلك النتائج :
1- ضياع الأجر : فالجاهل بمراتب الأعمال يهتم بالعمل قليل الأجر
على
حساب كثير الأجر ، ويضيع الجهد الكبير للحصول على حسنات قليلة
وتروي لنا
السنة من ذلك أمثلة كثيرة فعن أنس قال : كنا مع النبي -صلى الله عليه
وسلم- في
السفر ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، قال : فنزلنا منزلاً في يوم حار
أكثرنا ظلاً
صاحب الكساء ومنا من يتقي الشمس بيده ، قال : فسقط الصوام وقام
المفطرون ،
فضربوا الأبنية وسقوا الرّكَاب ، فقال رسول الله (ذهب المفطرون
اليوم
بالأجر) [17] .
وقد يصل الأمر إلى حد تضييع أصل الأجر نفسه ، فعن أبي هريرة قال
: قال
رجل : يارسول الله ، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها غير أنها
تؤذي
جيرانها بلسانها قال : (هي في النار) قال : يارسول الله فإن فلانة ... يذكر
من قلة
صيامها ، وصدقتها وصلاتها ، وأنها تصدق بالأثوار من الأقط (أي بالقطع من
اللبن
المجفف) ولاتؤذي جيرانها ، قال : (هي في الجنة) [18] .

كما أن ابن الجوزي قد ذكر أمثلة متعددة لدى العبّاد بالخصوص ، كلها ناتج
عن قلة الفقه بمراتب الأعمال ، قال مثلا : (وقد لبّس إبليس على جماعة من
المتعبدين ، فأكثروا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة
الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ، ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة ، أو
يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلاناً فلا يقدر على الكسب لعائلته) [19] .

2- سوء فهم الشريعة : إن الجهل بمراتب الأعمال عندما يكون عاماً ، يؤدي
إلى فوضى فكرية عارمة ، تشوه الشريعة وتخل بتوازنها ، لقد أرسى الشرع بين
المأمورات والمنهيات توازنا لايجوز الإخلال به ، تماما كَنِسَب الدواء الواحد ، قد
يؤدي تغييرها إلى إفساده وإلغاء خصائصه ، إن لم ينقلب إلى سم قاتل ، ومن ذلك
أن المسلم اليوم مثلا قد أضحى عنده ترتيب جديد لأوامر الشرع ، يجعل الشعائر
التعبدية (فرائض ومستحبات) أعلى مرتبة من سائر الواجبات والفرائض الأخرى ،
وأوكد من ترك منهيات الشرع (محرمات ومكروهات) .

3- غياب حس الأولويات في الدعوة : فسوء فهم الشريعة واختلاط مراتب
أحكامها يؤدي إلى عجز الدعاة عن البدء بما يجب البدء به . فإذا كان في أحكام
الدين واجب ومستحب ، وفاضل ومفضول ، فإن الدعوة إلى الواجب والفاضل مقدم
على الدعوة إلى مادونها ، لكننا نرى من بين شباب الصحوة الإسلامية ودعاتها من
ينشغل بالمسائل المرجوحة والأحكام الخلافية ، وتُبدد الجهود والطاقات فيها ،
والأولى البدء بالدعوة إلى أصول العقيدة والشريعة ، وبذل الجهد في معالجة القضايا
المصيرية الكبرى للأمة . وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد من اعتبار
درجة المعروف ودرجة المنكر ، حتى لايُفسد الإنسان بدل أن يصلح ، وحتى لاينفّر
بدل أن يبشر ، ولذلك اعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه : (إذا كان الشخص أو

الطائفة جامعين بين معروف ومنكر ، بحيث لايفرقون بينهما ، بل إما أن يفعلوهما
جميعاً أو يتركوهما جميعاً لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر بل
ينظر ، فإن كان المعروف أكثر ، أُمر به ، وإن استلزم ماهو دونه من المنكر ولم
ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه ، بل يكون النهي حينئذ من باب
الصد عن سبيل الله ، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله وزوال فعل
الحسنات ، وإن كان المنكر أغلب نُهي عنه ، وإن استلزم ماهو دونه من المعروف ، ويكون
الأمر بذلك المعروف المستلزِم للمنكر الزائد عليه ، أمراً بمنكر وسعياً في معصية
الله ورسوله) [20] إن هذا النص تطبيق رائع لفقه مراتب الأعمال وتقديم الراجح
منها ، وقد صاغ الأصوليون ذلك في قواعد تشريعية هادية مثل : دفع أشد المفسدتين
بأخفهما . والإتيان بأعظم المصلحتين وتفويت أدناهما ، وتقديم المصلحة الراجحة
على المفسدة الخفيفة ، وعدم ترك المصلحة الغالبة خشية المفسدة النادرة ..

ولايستقيم عمل دعوي إلا بفقه هذه الأصول والقواعد والالتزام بها ، فعسى أن
يوفق أبناء الصحوة الإسلامية وشبابها إلى ذلك ، والحمد لله رب العالمين .

---

(1) البخاري كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ومسلم كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة .
(2) البخاري كتاب العلم باب فضل من علم وعلم ، ومسلم كتاب الفضائل باب بيان مثل مابعث النبي -صلى الله عليه وسلم- من الهدى والعلم .
(3) ابن ماجه في سننه في المقدمة باب من بلغ علماً ، وأحمد في المسند وورد بروايات عدة متقاربة عن زيد بن ثابت وابن مسعود وغيرهما ، انظر الألباني صحيح الجامع الصغير (1/225) .
(4) البخاري كتاب الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء ، وهو في مسند أحمد باللفظ نفسه وروي في االصحيحين وفي السنن بألفاظ مختلفة ، انظر : فتح الباري (1/204 ، 205) .
(5) مجموع الفتاوى (4/93 ، 94) .
(6) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني (2/417) .
(7) شرح النووي على مسلم (2/9) .
(8) البخاري كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر ، وأخرجه أيضا مسلم وأحمد والترمذي .
(9) البخاري كتاب الأدب باب قتل الولد خشية أن يأكل معه .
(10) المسودة في أصول الفقه (ص : 65) ، وانظر باب الحكم الشرعي في كتب أصول الفقه .
(11) الموافقات (3/321) و (3/336) .
(12) نفسه (3/331) .

(13) نفسه (3/326) .
(14) نفسه (3/206) .
(15) اقتضاء الصراط المستقيم (ص : 28) .
(16) مدارج السالكين (1/221) .
(17) البخاري كتاب الجهاد باب فضل الخدمة في الغزو ومسلم كتاب الصيام باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية ، والنسائي كتاب الصيام فضل الإفطار في الصيام ، واللفظ هنا لمسلم ، الرّكاب : الرواحل وهي الإبل التي يسار عليها (البيان) .
(18) أخرجه أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد كذا في الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني (19/219) .
(19) تلبيس إبليس (ص 141) .
(20) الحسبة (ص 38 39) .
(*) لكلام ابن كثير تتمة ، معرفتها مهمة ، وهي قوله : (لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية .

متابعات

نقطة فوق الفاصلة

بقلم : محمود عبد العزيز

طالعت بمزيد من الإعجاب التوضيح الذي جاء في العدد (90) تحت عنوان
(فاصلة أدبية) والذي ذُكرت فيه وجهة نظر التحرير تجاه الشعر الحر المنشور
بالمجلة .

وإذا كنت أُعجبت بالفاصلة كمقطوعة أدبية راقية الأداء رشيقة التعبير إلا أنني
أختلف معكم حول ما ترمي إليه ، واختلاف المسلمين لا يفسد لودهم قضية ، بل
أرى أن هذا الأداء الأدبي الراقي استعمل لتمرير وجهة النظر المؤيدة للشعر الحر
بطريقة ناعمة ممتعة .

وإذا سمحتم أن تسمعوا لأحد المتطفلين على مائدتكم الثقافية العامرة ، فإني
أحب أن أذكر وجهة نظر أخرى ، وقد عودتمونا على تقبل عرض آراء متنوعة
انطلاقاً من ممارسة واعية للنقد الذاتي .

فالناظر في التوضيح الذي جاء في الفاصلة يَخْلُص إلى أن المراد توضيحه
نقطتان :

أولاً : الشكل الشعري لبعض قصائد الشعر المنشورة ، التي أُطلق عليها
تجاوزاً (شعر التفعيلة) .

ثانياً : الغموض الشعري في بعض القصائد المنشورة .

والناظر في القصائد المنشورة بالبيان الأدبي يلحظ امتزاج النقطتين غالباً ،
وكأن هناك علاقة عضوية بين الغموض والشعر الحر .

ففي الشكل ذكرتم ما خلاصته : أن الالتزام يكون بالفصحى وعدم العبثية
والشكلية المحضة مع قبول أشكال أدبية جديدة لا يعترضها (نص شرعي صريح ،
أو رأي فقهي صحيح) .

ولنراجع مقاطع بعض النصوص الشعرية على ضوء (معبر) شعر التفعيلة
الذي ذكر في صدر (الفاصلة) ، ولن نذهب بعيداً ، بل سنطوي صفحة واحدة بعد
نهاية (الفاصلة) لنقرأ :

(باسم كشف السر عن خارطة الأموات (دي جاما ...) .

ثم : (يرسم : المدخل والمخرج ، والأبعاد ، هبوب الريح ، هزات المدارات ،
المضيقات ...) .

على أي تفعيلة هذا الشعر ؟ ! بل ما الفرق بينه وبين النثر غير أنه متقطع
السطور ؟ ! ولنبحث في القصيدة نفسها عن الفصحى في مثل : (في علبة
ديتول) ... (لم ينس التنوين) و (خلطة كيك !) (دوزن ناظريك) ، فهكذا
يشملَ التفلت من الفصحى المفردات اللاتينية والمولّدات الفارسية .

وإذا كنا ننزهكم عن العبثية في المعنى ، فإن العبثية في الشكل تجاوزت
التغاضي عن ذريعة (التفعيلة) لتصل إلى (العدمية) ، ومن يريد التأكد فليراجع
قصيدة (معالم) في العدد (84) ، حيث نلاحظ الشعر النقطي ! :

(يدعم الأكبر (قيصر) ! ! ....) (هكذا)

وفي العدد (86) قصيدة (أهازيج دماء اليقظة) للشاعر نفسه :

(صوت 4 .... . سْ) (هكذا : سين مفردة ساكنة بعد حشد نقطي) .

ولكن في العدد (89) التطويري : تطورت الأبيات النقطية عدداً فبلغت ثلاثة
أبيات ! ! .

وبالطبع فلن نسأل عن التفعيلة ولا عن الفصحى لعدم وجود ألفاظ أصلاً ،
وهذه المرة الأولى التي أشاهد فيها حسب اطلاعي المحدود شعراً يقرأ بل يُنظر ولا
يُلقى ولا يُسمع ! ! ، وبالطبع فإن المعنى مدفون في أغور بطن الشاعر ، والاجتهاد
في الوصول إليه مسؤولية كل منقّب !

وقد تمت هذه التجاوزات في نظري تحت دعوى مطلقة ، هي : قبول أشكال
أدبية جديدة ، في حين اعتبرتم أن الضابط لها : ألا يعترض هذه الأشكال نص
شرعي صريح أو رأي فقهي صحيح .

وإذ كنت أعتبر أن التجديد والمرونة ضروريان لانتعاش الإبداع الأدبي وعدم
خنقه ، إلا أنه من غير المقبول إطلاق هذه الدعوى لتهدم وتبني الأشكال الأدبية
بزعم عدم معارضتها لنص شرعي أو رأي فقهي ، فإذا كنا نقبل هذا الضابط في
الحكم على المعاني التي ترمي إليها الأهداف والغايات الموضوعية للإبداع الأدبي

إلا أنه لا يصلح وحده معياراً للحكم على الشكل الأدبي ، بل نستطيع القول : إن هذا
يعتبر مدخلاً لدعاة تكريس العامية بدل الفصحى ، ولدعاة كتابة العربية بأحرف
لاتينية ، فالتعامل الجاف المتعسف مع النصوص الشرعية والآراء الفقهية لا يمنع
ذلك إذا كانت وحدها هي المعيار في قبول أو رفض الشكل الأدبي ! ! .

والمسألة أكبر من مجموعة كلمات تفتقد إلى قافية وبحر شعري ، فهي تعود
إلى هوية أمة تفقد شخصيتها بسقوط مشخصاتها تباعاً لتذوب في شخصية حضارة
أخرى ، واللغة واللباس من أهم عناصر شخصية أي أمة ، لذا : رأينا أتاتورك
حريصاً على تحويل ومسخ مظاهر هذه العناصر أثناء أَوْرَبة المجتمع التركي ،
ورأينا أيضاً وعي بقية من علماء الدولة العثمانية بأبعاد هذا التحول فيما عرف
بمعركة القبعة والطربوش ، فالمسألة ليست مجرد فتوى في غطاء رأس لم يأت فيه
نص شرعي (لاحظ أن الطربوش أيضاً ليس فيه نص شرعي صريح ولا رأي فقهي
صحيح ! ! (ولكنها مسألة أمة يراد القضاء عليها حضاريّاً عبر هدم مشخصاتها .

ومن هنا أرى شخصيّاً أن هناك فرقاً بين قبول أشكال أدبية جديدة لم تكن
معروفة في الأدب العربي من قبل كالمسرحية والرواية والقصة والمقال وتغيير شكل
القصيدة الشعرية العربية ليوافق شكل القصيدة الأوروبية ؛ فالشعر العربي لم نكتشفه
الآن حتى نحدد أو لا نحدد ملامح شكل بنائه ، بل تطور عبر مراحل طويلة
استغرقت سنوات عديدة ليصل إلى كمال تجاوبه مع الذوق العربي ونغم العربية ،
كما رأيناه في أول قصيدة جاهلية وصلتنا وحتى اليوم ، وليس من المعقول الاستغناء
عن قواعد هذا البناء لمجرد أن الشعر الحر جديد ومستحدث ، فجدته وحداثته وحتى
قبوله ورواجه عند الآخرين ليست مبررات لقبوله بدون تحقيق أو تمحيص شكلاً
مزاحماً لبناء القصيدة العربية التي حافظت على شكلها عبر آلاف السنين ، ولم

يتغير هذا الشكل إلا بالتزام مزيد من الضوابط كما في الموشحات
الأندلسية إثباتاً
لتفوق شعراء الأندلس والمغرب العربي على شعراء المشرق العربي
وقتها .

فما الذي حدث حتى يحدث الانقلاب على القصيدة العربية ؟
.

الذي حدث هو الهزيمة النفسية المريعة التي خيمت على عالمنا
الإسلامي في
العصور المتأخرة :

فالشعر (الحر) لم يحدث إلا بعد الانبهار بحضارة العالم (الحر)
المتمدين ! ! .

والشعر (الحر) ارتبطت نشأته بأدباء مشبوهي التوجهات ، مشبوهي
الانتماء .

والشعر (الحر) استخدم فيه مبرر هدم قيم أخرى للأمة (الحرية (،
فالزندقة
والإلحاد كانا باسم : (حرية الفكر والعقيدة) ، والانحلال وهدم الأسرة
كانا باسم
(تحرير المرأة) ، والربا والاحتكار كانا باسم (تحرير الاقتصاد) و (السوق
الحرة) .

فالهزيمة النفسية الأدبية جعلت الشعر الأوروبي معياراً للقصيدة ،
فلماذا لم
نحاكم الشعر الأوروبي إلى وزن وقافية القصيدة العربية ؟ ! ! ولماذا لم
تظهر
دعوات بهذا المعنى بين أدباء أوروبا ؟ ! لأنهم يدركون اختلاف الذوق
الأوروبي
والنغم اللاتيني عن الذوق العربي ونغم العربية ، ولأنهم (تراثيون تقليديون)
؛ فشكل
قصيدتهم باقٍ كما هو لم يتغير ، ولم يتغير إلا البناء الموضوعي ، وهذا ما
حدث
أيضاً في الشعر العربي الذي كان من تقاليده في القصيدة الجاهلية
البدء بالمطلع
الغزلي ، ثم الانتقال إلى أغراض شعرية أخرى ، فتطور هذا البناء
الموضوعي إلى
الوحدة الموضوعية للقصيدة .

حقّاً إن (الأديب يجب أن يكون حرّاً طليقّاً ، إلا أنه لا بد من أن تكون
هناك
مناطق تحريم ومناطق إباحة .. وأنه لا يكون فن ما لم تكن هناك أطر
فضفاضة
ترعى ، وضوابط وحدود تحمي (الفن) من أن تنتهك حرماته ، فيختلط
الفن بغير
الفن ، والادعاء والشعبذة بالصدق والأصالة ، فلا ضوابط تميز وتفرق بين
هذا

وذاك .
الفن هو الاقتدار على الضبط ، والبراعة في إحسان التحرك ، وإجادة
التصرف والحركة في أضيق المساحات والمجالات وأدق الأطر ، دون المساس بها
أو خدشها وتشويهها أو المروق عليها) [*] .
أما عن الغموض الشعري فإننا نطالبكم فقط بما جاء في (الفاصلة) : أن يتحلى
أدبنا بقدر من الوضوح ، يجعله (امتداداً لنبل حسان (رضي الله عنه)) لا أن نكتفي
بكونه صالحاً للدرس في قاعات المحاضرات ، وتحليل النقاد على صفحات الكتب
والصحف والمجلات ، نطالبكم بالأدب الذي ينسل من بين دفات الكتب ويخترق
جدران القاعات ليخالط شغاف قلوب الجماهير المسلمة ليصنعوا منه أنشودة الأمل
الموعود ، ويرموا بها قراصنة الأمم ، بل قراصنة الفكر .

تعقيب

الأخ الكريم محمود عبد العزيز .. ها نحن نشرنا رأيك كاملا ، احتفاءً منا
بالاستقبال المنتج الفاعل ، الذي ننتظره من قرائنا تجاوباً وحواراً مع كل ما ننشره
على صدر المجلة ، وسنعلق على عدد من النقاط التي أثرتها ، مع تقديرنا لوجهة
نظرك وإن اختلفنا معها :
* لازلنا عند الضابط الذي حددناه في قبول الأشكال الأدبية ، وهو (أن
لايعترضها نص شرعي صريح ، أو رأيٌ فقهي صحيح) إذ إن أحكام الأوزان
الخليلية والنقد الجمالي في تراثنا ليس من الثابت المعصوم ، بل هو كسب نسبي من
المتجدد الطامح إلى الأكمل والأجمل . فهو عطاء بشري ، وليس وحياً شرعياً منزلاً
ملزماً ، كما أن الذوق الجمالي ليس قيمة مطلقة ، يمتلكها جيل دون جيل ، أو أمة
دون أخرى ، ومثلما أن إحلال الحرام بغير نص شرعي صريح ، أو رأي فقهي
صحيح قولٌ على الله بغير علم ، فإن تحريم الحلال مثله في الإثم ، وإنما يختلف
الناس بأذواقهم ، بناءً على بيئاتهم ، وتجاربهم ، ومعارفهم ؛ ولذا فإننا نقدم ما

يرضي الذوق الخليلي ، كما نرضي ذوق المحب للجديد من الأشكال الأدبية بتقنياتها
الجمالية المعاصرة ، والنص المستكملُ لأدواته الفنية والجمالية على مستوى الشكل ،
المنتظم في إطار الرؤية الإسلامية من جهة الدلالة مقدّمٌ على غيره عند النشر ،
سواءٌ أكان عمودياً أو من شعر التفعيلة . وليس نشرنا للأخير مجرد حب للتجديد مع
أن حب التجدد نعمة في ذاتها ولكنه ضرورة تستحثنا كي نكون متفوقين ، وحتى
نكون إشعاعاً لاظلاً ! نمتلكُ أصول الأشكال الجمالية والفنية ، ونواجهُ بها مضامين
الشعر العلماني الحديثة الخائبة .
وتكريسُ العامية بديلاً من الفصحى أو كتابة العربية بالحروف اللاتينية
مرفوضٌ بالرأي الفقهي الصحيح ، المستقرئ للنص الشرعي من الكتاب والسنة ، لا
بأمور أخرى كما يظن الكاتب الكريم .
* نهمس في أذن أخينا حتى لايتعجل في الحكم ، فنحن بالفعل إلى هذا العدد
لم ننشر إلا القصيدة العمودية أو شعر التفعيلة ، وحتى النماذج التي ذكرها الأخ
الكريم ، ليست من الشعر المنثور في شيء فما اجتزأه من قصيدة (جغرافيا الرقاب)
مثلاً يهيمن على إيقاعه تفعيلة (فاعلاتن (بتنوعاتها المذكورة في علم العروض ، ولو
كتبنا الكلمات بلغة العروض الإشارية فسيكون (باسم كشف السر عن خارطه
الأموات دي جاما) .. هكذا : (/5//5/ 5/5//5/ 5/5/// 5/5//5/ 5/5 /5/) وكذا
البقية ؛ فهي ليست مجرد نثر متقطع السطور كما ذكرت . ثم إننا لانرفض النقد
الأدبي الواعي ، لما ننشره من نصوص بل نبحث عنه ، ونلح على ذوي الموهبة
المصقولة بالمعرفة أن يمارسوه على صفحات المجلة ، غير أن النقد المنهجي للنص
الأدبي مشروط بالانطلاق من رؤية متكاملة له ، لأن النص كائن حي ، كل جزء
منه تتحدّد قيمته ووظيفته من خلال صلته ببقية الأجزاء ، في شبكة من العلاقات
التي تُنتج بمجموعها تأثيرَ النص في وعي القارئ وعاطفته ، كما تنتج دلالات

النص وإيحاءاته ، أما اجتزاءُ سطر من نص شعري والنظر إليه معزولاً عن شبكة
العلاقات التي تجسده ، وعن وظيفته الدلالية داخل النص باعتباره امتداداً لما سبقه ،
وجسراً إلى مابعده ، فإنه تمزيق للنص يشبه عمل من يقطع اليد من الجسد ، ثم
يلوح بها متسائلا : ماقيمة هذه القطعة الميتة ؟ مع أن النص المكتوب يستفيد من
إمكانات الرؤية البصرية في التعويض بالإشارات الكتابية عن الدلالات التي تقدمها
اللغة المنطوقة ، ومايصحبها من تلوينات في الأداء ، كدلالات النبر والتنغيم ، مما
لايظهر في اللغة المكتوبة ، وهي قدرات أفاد منها الإنسان كثيرا بانتشار الطباعة ،
وحقق بها وظائف نفعية وجمالية عديدة .

أخيرا فإن تبادل التأثّر والتأثير بين الآداب أمر قديم مشهود ، والتغيرات في
أجناس الكتابة الأدبية ، وأشكالها ، وتوصيفاتها الجمالية والفنية أمرٌ مشهود ومشترك
بين آداب الأمم المختلفة ، والأمة الفاعلة الراغبة في التأثير يغيظها أن يكون على
الأرض ملمح من حق أو خير أو جمال ثم لاتمتلكه ! .

التحرير الأدبي

(*) صالح آدم بيلو : من قضايا الأدب الإسلامي ، ص 118 .

بريد البيان

وفاة عالم صومالي :

وصلنا من الأخ : محمد حسين معلم مقالة تعرف بفضيلة الشيخ نور الدين
على الصومالي ، أحد المؤسسين الأوائل للدعوة السلفية في الصومال ، الذي توفي
في 4/6/1416 عن عمر يناهز (81) سنة ، وهو من الشمال الشرقي في الصومال ، تلقى العلم عن كثير من العلماء ودرس في دار الحديث المكية والأزهر وعاد
داعية في بلاده للعقيدة السلفية ، عانى كثيرا من مضايقات المبتدعين وسجن عدة
مرات في عهد (بري) ، ثم اضطر للهجرة إلى كينيا وأوغندا حيث واصل دعوته في
معهد (بلال الإسلامي) بكينيا ، ومعهد (كيسوا) في ممباسا ، وتخرج على يديه العديد
من الدعاة ، وله كثير من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة في (هداية المستفيد من
علم التوحيد) و (التعظيم المشروع للرسول الكريم والتعظيم المبتدع) رحم الله الفقيد
وأسكنه فسيح جناته . وسيصدر للكاتب دراسة موسعة عن الشيخ ضمن دراسة عن
علماء الصومال وجهودهم في الدعوة الإسلامية .

عادل بن محمد أمين مقيم

ملاحظاتك واقتراحاتك محل العناية والتقدير ، شاكرين لك حرصك واهتمامك . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه .

الأخ / محمود أبو فروة

نشكر لك مراسلتك المجلة ، أما مقالك الحواري فهو مناسب للزوايا الخفيفة في
المجلات الأسبوعية ، فنعتذر عن نشره ، ومرحباً بك في مشاركات أخرى

عبد الله الدخيل

ستصلك رسالة خاصة بخصوص طلبك إن شاء الله .

فيصل اليوسف

نشكرك على اهتمامك
بنفع القراء ، ونعتذر عن نشر قصيدتيك (لضعفهما فنياً)
، ونحن في انتظار مشاركات أخرى .

سعيد غرم الله الغامدي

نشكرك على ثنائك على المجلة ، ومتابعتك لها . نسأل الله (عز وجل) أن
نكون من المتحابين فيه .

مسلم عبد الوهاب
نشكرك على مشاركتك ، والموضوع عام ، وشواهده من غير مجتمعاتنا في
الغالب فضلاً عن كونه مصوراً ولاحكم للإسلام فيه ، لذا نعتذر عن نشره .

عبد الله البسيمي
ما أرسلته من ثناء نشكرك عليه ، أما ملاحظاتك فهي موضع الاهتمام من
أسرة التحرير ، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياك من المتعاونين على البر
والتقوى .

صابر إبراهيم
كلامك عن أخلاق النبي -صلى الله عليه وسلم- صحيح لاغبار عليه ، نسأل
الله أن يوفقنا للاقتداء به .

محمد عايض القحطاني
نشكرك على ثنائك على التطوير للمجلة ، وما كتبته من اقتراحات وجيهة هي
محل اهتمامنا ، ولعلها ترى النور قريباً إن شاء الله .

الورقة الأخيرة

ما وراء الوهن

بقلم : د . محمد بن ظافر الشهري

في بلد من بلاد المسلمين التي تحتضن ألواناً شتى من البدع ، التقيت بأحد
أئمة المساجد ودار بيننا حوار قصير ، انتهى بإقرار الرجل بأن ما يفعله أدبار
المكتوبات ، إنما هو من البدع المحدثة ، ووعد بالعمل على التخلص من تلكم البدعة
بالطريقة المناسبة .

وتمضي الأيام ، وأعود للصلاة خلف ذلك الإمام ، فإذا به يمارس البدعة ذاتها
التي تحاورنا بشأنها ، ويبرر عكوفه عليها : بأن الناس لم يوافقوا على تركها ! ! ؛
لقد كان يريد أن يقول بوضوح : دعني آكل (لقمة عيشي) .

لقد كان ذلك البلد فقيراً ، ولكن المشكلة لا تخص بلداً بعينه ، فالمرض منتشر
بين المسلمين ، ولكن حجم (اللقمة) قد يختلف ، كما أن الأعراض تختلف من بلد
إلى آخر ، فتارة تتمثل في تمرير البدع ، وتارة تكون غير ذلك .. ، وربما خفيت
الأعراض أحياناً .

إن مصيبتنا اليوم لم تقف عند حد (حب الدنيا وكراهية الموت) ، بل وصلت
بنا إلى حد (حب الترف وكراهية الشظف) ، وبذل كل شيء في سبيل هذا الحب
(العذري) الذي قلما يلام عليه العشاق .

وهكذا فلم تعد الضرورات الدنيوية -بل ولا الحاجيات- هي مناط الرخصة
في ارتكاب بعض المحظورات ؛ ولكن نوافل التحسينيات اليوم تعد كافية عند فئام
من الناس لتبرير الذنوب .. وربما الموبقات .

كم هو مؤلم أن تفقد حدود الله هيبتها في القلوب إلى الحد الذي توضع فيه
الشريعة الغراء في كفة وتوضع الخميلة والخميصة في الكفة الأخرى ، والأدهى
والأمرّ أن ترجح كفة العرض الدنيوي عند كثير من الناس .

لقد رجعت إلى القرآن العظيم فكان جلاءً لما أصابني من حزن ، فحمدت الله
(تعالى) وطفقت أتلو قوله (عز وجل) : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي

حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾
[الشورى : 20] .

تمت بعون الله والحمد لله